كيف نستعيد قيمنا وأخلاقنا الجميلة ؟

ابن شهوان

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

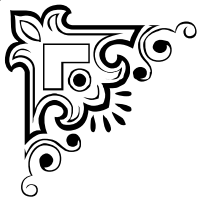

دِينُ الْأَخْلَاقِ وَنَبِيُّ الْقِيَمِ وَالْمُثُلِ ﷺ

فَإِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ الْقِيَمِ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ﷺ.(*).

دِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَأْمُرُ بِمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ، وَيَحُثُّ عَلَىٰ الْعَدْلِ، وَالْفَضْلِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْخَيْرِ، وَيَزْجُرُ عَنِ الظُّلْمِ، وَالْبَغْيِ، وَمَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ.(*/٢).

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ هُوَ دِينُ الطَّهَارَةِ، دِينُ طَهَارَةِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ عَلَىٰ السَّوَاءِ، أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِطَهَارَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ وَالْأَنْفُسِ، وَأَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِطَهَارَةِ الْأَبْدَانِ وَالثِّيَابِ وَالْأَمْكِنَةِ، وَهُوَ دِينُ الْعِفَّةِ وَدِينُ الْعَفَافِ.(*/٣).

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْحَيَاةَ تَخْلُو مِنَ الْقِيمَةِ إِذَا خَلَتْ مِنَ الْقِيَمِ، وَإِنَّ الْحَيَاةَ لَتَصِيرُ عَدِيمَةَ الْمَعْنَىٰ إِذَا خَلَتْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنَ الْمُثُلِ، وَإِنَّ الْحَيَاةَ لَا تَصِحُّ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْإِسْلَامُ دِينُ الْقِيَمِ».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْحِ رِسَالَةِ: «مِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْعَظِيمِ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ - الثلاثاء ٦ من ربيع الأول ١٤٣٥هـ الموافق ٧-١-٢٠١٤م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْحَرْبُ بِالْفَوَاحِشِ» - الْجُمُعَةَ ٢٢ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٢٨هـ| ٨-٦-٢٠٠٧م.

حَقًّا وَلَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُهَا عَلَىٰ الْجَادَّةِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ صَادِرَةً مِنْ نَبْعِ الْقِيَمِ، قَائِمَةً عَلَىٰ أَسَاسٍ مِنَ الْمُثُلِ.

تَخْلُو الْحَيَاةُ مِنَ الْقِيمَةِ إِذَا خَلَتِ الْحَيَاةُ مِنَ الْقِيَمِ..

وَقَدْ عَلَّمَنَا دِينُنَا كِتَابًا وَسُنَّةً؛ فَأَرْشَدَنَا رَبُّنَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَبَيَّنَ لَنَا نَبِيُّهُ الْكَرِيمُ فِي سُنَّتِهِ الشَّرِيفَةِ الْمُطَهَّرَةِ هَذَا الْأَصْلَ الَّذِي لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ، وَلَا تَقُومُ الْحَيَاةُ إِلَّا عَلَيْهِ.(*).

لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِرِسَالَةٍ عَظِيمَةٍ جَمَعَتْ بَيْنَ الْقِيَمِ الْفَاضِلَةِ وَالْمُثُلِ الْعَالِيَةِ؛ فَلَمْ تَتْرُكْ فَضِيلَةً مِنَ الْفَضَائِلِ وَلَا قِيمَةً مِنَ الْقِيَمِ تَسْمُو بِهَا النُّفُوسُ إِلَّا دَعَتْ إِلَيْهَا، وَحَثَّتْ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهَا، وَمَا تَرَكَتْ خُلُقًا ذَمِيمًا إِلَّا نَهَتْ عَنْهُ؛ فَقَدْ حَصَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْغَايَةَ مِنَ الْبَعْثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي تَمَامِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ»، وَالْحَاكِمُ، وَأَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ أَحْمَد شَاكِر، وَالشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ، وَغَيْرُهُمَا.

فَلَا عَجَبَ -إِذَنْ- أَنْ يَكُونَ حُسْنُ الْخُلُقِ غَايَةَ الْغَايَاتِ فِي سَعْيِ الْعَبْدِ لِاسْتِكْمَالِ الصِّفَاتِ عَلَىٰ أَسَاسٍ مِنَ التَّوْحِيدِ الْمَكِينِ، وَثَابِتِ الْإِخْلَاصِ وَالْيَقِينِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْفَصْلُ بَيْنَ مَا هُوَ شَخْصِيٌّ وَمَا هُوَ شَرْعِيّ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٢٥هـ| ١٠-١٢-٢٠٠٤م.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢، دار صادر)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٨١، رقم ٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والحاكم (٢/ ٦١٣، رقم ٤٢٢١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٥).

وَلَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ الْمَثَلَ الْأَعْلَى فِي الْقِيَمِ النَّبِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ.. كَانَ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ عَلَىٰ الْقِمَّةِ الشَّامِخَةِ، وَفَوْقَ الْغَايَةِ وَالْمُنْتَهَىٰ، فَكَانَ كَمَا قَالَ عَنْهُ رَبُّهُ ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وَهُوَ ﷺ مَعَ ذَلِكَ لَا يَنْفَكُّ يَدْعُو رَبَّهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ بِقَوْلِهِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلاقِ، فَإِنَّهُ لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه.

يَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُرْشِدَهُ لِصَوَابِ الْأَخْلَاقِ، وَيُوَفِّقَهُ لِلتَّخَلُّقِ بِهِ، وَأَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ قَبِيحَ الْأَخْلَاقِ وَمَذْمُومَ الصِّفَاتِ، وَيُبْعِدَ ذَلِكَ عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُ ﷺ عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ، وَمَعَ أَنَّ خُلُقَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

أَخْبَرَ سَعْدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، **فَقَالَ**: «قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟

قُلْتُ: بَلَىٰ.

قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ الْقُرْآنُ»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمَعْنَىٰ أَنَّ خُلُقَهُ الْقُرْآنُ: أَنَّهُ يَعْمَلُ بِهِ، وَيَقِفُ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَيَتَأَدَّبُ بِآدَابِهِ، وَيَعْتَبِرُ بِأَمْثَالِهِ وَقَصَصِهِ، وَيَتَدَبَّرُهُ، وَيُحْسِنُ تِلَاوَتَهُ.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٧٧١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦).

وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، وَهُوَ -مَعَ ذَلِكَ- يَسْأَلُ الْهِدَايَةَ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَيَسْتَعِيذُ مِنْ سَيِّئِهَا؛ فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ خُلُقُهُ إِلَىٰ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ كَقَطْرَةٍ فِي بَحْرٍ أَوْ دُونَ ذَلِكَ؟!!

وَكُلُّ إِنْسَانٍ -لَا مَحَالَةَ- يَجْهَلُ الْكَثِيرَ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ، فَإِذَا جَاهَدَ نَفْسَهُ أَدْنَىٰ مُجَاهَدَةٍ حَتَّىٰ تَرَكَ فَوَاحِشَ الْمَعَاصِي؛ فَرُبَّمَا ظَنَّ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَذَّبَ نَفْسَهُ، وَصَفَّىٰ أَخْلَاقَهُ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ، وَاسْتَغْنَىٰ عَنِ الْمُجَاهَدَةِ، وَاسْتَنَامَ إِلَىٰ حُسْنِ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ حَاجَةَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ إِلَىٰ حُسْنِ الْخُلُقِ كَحَاجَتِهِ إِلَىٰ الْهَوَاءِ؛ بَلْ أَشَدُّ؛ لِأَنَّ فَقْدَ الْهَوَاءِ يَعْنِي مَوْتَ الْبَدَنِ، وَفَقْدَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ يَعْنِي مَوْتَ الْقَلْبِ، وَفِي مَوْتِ الْقَلْبِ فَقْدُ الدِّينِ، وَهَلَاكُ الْأَبَدِ.

وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْمَلَ النَّاسِ خُلُقًا، وَأَحْسَنَهُم أَخْلَاقًا؛ كَانَ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالْحُبِّ وَالْقُرْبِ مِنْهُ مَنْ بَلَغَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ مَبْلَغًا مَرْضِيًّا، وَتَسَنَّمَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَكَانًا عَلِيًّا.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مِن أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُم مِنِّي مَجلِسًا يَوْمَ الْقِيامَةِ: أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيهِقُونَ**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ عَلِمنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ[1]؛ فَمَا الْمُتَفَيهِقُونَ؟

---

(١) (**الثَّرْثَارُونَ**): هم الذي يُكْثِرُونَ الْكَلَامَ تَكَلُّفًا وَخُرُوجًا عَنِ الْحَقِّ، وَ(**الثَّرْثَرَةُ**): كَثْرَةُ الْكَلَامِ وَتَرْدِيدُهُ، وَ(**الْمُتَشَدِّقُ**): هُوَ المتكلم بملئ شَدْقِهِ تَفَاصُحًا وَتَعْظِيمًا لِكَلَامِهِ، انظر: «تحفة الأحوذي» (٦/ ١٣٦).

قَالَ: «**الْمُتَكَبِّرُونَ**»(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ».

لَمَّا كَانَ خَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمَهُمْ سَهْمًا فِي حُسْنِ الْخُلُقِ؛ كَانَ شَرُّ النَّاسِ أَعْظَمَهُمْ سَهْمًا فِي سُوءِ الْخُلُقِ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ! إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالْفَاحِشُ الْبَذِيءُ مَبْغُوضٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كلَّ فاحشٍ مُتَفَحِّشٍ**»(٣). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ».

وَالْفَاحِشُ: ذُو الْفُحْشِ فِي كَلَامِهِ وَفَعَالِهِ.

وَالْمُتَفَحِّشُ: الَّذِي يَتَكَلَّفُ ذَلِكَ وَيَتَعَمَّدُهُ.(*).

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٠١٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٤، و٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١)، وفي رواية للبخاري (٦٠٣٢) بلفظ: «...، **مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ**».

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٠٢، رقم ٢١٧٦٤)، وروي نحوه من حديث عائشة، وسهل بن الحنظلية، وعبد الله بن عمرو، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والحديث صححه بشواهده الألباني في «الإرواء» (٧/ ٢٠٩ - ٢١٠، رقم ٢١٣٣)، وفي «صحيح الجامع» (١٨٥٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِنْ كِتَابِ: «حُسْنِ الْخُلُقِ». الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ.

لَقَدْ أَدَّبَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَبِيَّهُ ﷺ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، وَرَبَّاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَأَكْمَلَ تَرْبِيَتَهُ، وَأَعْطَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءَ.

النَّبِيُّ ﷺ الْمَثَلُ الْكَامِلُ، النَّبِيُّ ﷺ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ عَلَمًا عَلَىٰ الْأَخْلَاقِ، وَكَمَالِ الْقِيَمِ، وَشِيَمِ التَّصَوُّرِ الصَّحِيحِ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ مَنْ يُرِيدُهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ، يَحْمِلُونَ الْهِدَايَةَ وَالسَّعَادَةَ وَالنُّورَ، وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

تَلْتَمِسُ مَا تَلْتَمِسُ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ؛ تَجِدُ الْعَجَبَ الْعَاجِبَ، تَجِدُ الْحَصَىٰ فِي الْكَفِّ مُسَبِّحًا[1] -فِي كَفِّهِ الشَّرِيفِ-، وَتَجِدُ الْجِذْعَ يَحِنُّ إِلَيْهِ حَنِينًا، وَيَئِنُّ عِنْدَ الْفِصَالِ عَنْهُ أَنِينًا، وَيَنْزِلُ ﷺ بِمَحْضَرٍ -بِمَشْهَدٍ وَمَرْأًىٰ وَمَسْمَعٍ- عَنْ مِنْبَرِهِ؛ لِيُهَدْهِدَ[2] -كَالْأُمِّ الرَّءُومِ[3] عَلَىٰ رَأْسِ طِفْلِهَا- عَلَىٰ الْجِذْعِ، وَهُوَ أَعْجَمُ لَا

---

(١) أخرج الطبراني في «**الأوسط**»: (٢/ ٥٩ رقم ١٢٤٤)، وأبو نعيم في «**دلائل النبوة**»: (١/ ٤٣١ رقم ٣٣٨)، بإسناد صحيح، عن أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، قَالَ:
«إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَلْقَةٍ، وَفِي يَدِهِ حَصًىٰ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، فسَمِعَ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ،... » الحديث.
وأخرج نحوه البخاري: (٦/ ٥٨٧ ٣٥٧٩)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ، قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ».

(٢) (ليهدهد)، أي: يحركه ليسكن، يقال: هَدْهَدَت المرأَةُ ابْنَهَا، أَي: حرَّكَتْه لِينام، وَهِيَ: الهَدْهَدَةُ.
انظر: «**لسان العرب**»: (٣/ ٤٣٤-٤٣٥)، مادة: (هدد).

(٣) (الرَّءُوم): العطوف، يقال: رَئِمتِ الناقةُ وَلَدَهَا تَرْأَمُهُ رَأْمًا ورَأَمانًا: عطفتْ عَلَيْهِ وَلَزِمَتْهُ، قال ابن فارس: «الرَّاءُ وَالْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ مُضَامَّةٍ وَقُرْبٍ وَعَطْفٍ، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا وَأَلِفَهُ: قَدْ رَئِمَهُ».
=

يُبِينُ، وَهُوَ مِنَ الْجَمَادِ وَإِلَىٰ الْجَمَادِ قَدْ صَارَ، يُهَدْهِدُ عَلَيْهِ، فَمَا يَزَالُ يَخْفُتُ صَوْتَهُ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ وَيَنْقَطِعَ، وَعِنْدَئِذٍ يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَفْعَلْ لَظَلَّ يَحِنُّ إِلَيَّ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

وَلَكَانَ الدَّاخِلُ إِلَىٰ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَوَانِ الْإِذْنِ بِخَرَابِ الدُّنْيَا.. لَكَانَ الدَّاخِلُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ يَسْمَعُ حَنِينَ الْجِذْعِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

تَلْتَمِسُ دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ، وَتَرَىٰ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ الْعَظِيمَاتِ السَّامِقَاتِ(٢) عَلَىٰ يَدَيْ سَيِّدِ الْكَائِنَاتِ ﷺ، تَجِدُ ذَلِكَ بِغَيْرِ عَدٍّ وَلَا حَصْرٍ؛ وَلَكِنْ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي تَمَثَّلَتْ قَلْبًا يَنْبِضُ، وَرُوحًا يَرِفُّ، وَنَفْسًا تُحِسُّ، وَجَسَدًا عَلَىٰ الْأَرْضِ يَتَحَرَّكُ، هَذَا وَرَبِّي هُوَ

=

انظر: «**مقاييس اللغة**»: (٢/ ٤٧٢)، و«**لسان العرب**»: (١٢/ ٢٢٣)، مادة: (رأم).

(١) أخرج البخاري: (٦/ ٦٠١ رقم ٣٥٨٣)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَىٰ جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ المِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ».
وللبخاري أيضا: (٦/ ٦٠١ - ٦٠٢ رقم ٣٥٨٤)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، لما دفع إليه ﷺ المنبر، قال: «صَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ،... » الحديث، وفي رواية: (٦/ ٦٠٢ رقم ٣٥٨٥): «... ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حَتَّىٰ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ».

(٢) (**السامقات**) جمع سامقة، وهي الرفيعة العالية.
انظر: «**لسان العرب**»: (١٠/ ١٦٣)، مادة: (سمق).

الْإِعْجَازُ الْأَكْبَرُ، هَذَا وَرَبِّي هُوَ مَا تَحَوَّلَ فِي الْجَسَدِ الطَّاهِرِ وَفِي الرُّوحِ الشَّرِيفِ، وَفِي الْقَلْبِ الْمُبَارَكِ وَفِي النَّفْسِ الْعَفِيفَةِ.

هَذَا وَرَبِّي هُوَ الَّذِي تَحَوَّلَ مِنْ قُرْآنٍ يُتْلَىٰ إِلَىٰ حَرَكَةٍ يَتَحَرَّكُ بِهَا مُحَمَّدٌ ﷺ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[1].(*).

❊❊❊

---

(١) أخرج مسلم: (١/ ٥١٢-٥١٣، رقم ٧٤٦): أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ أَتَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَاسْأَلْهَا، فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: «**أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟**» قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَتْ: «**فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةِ: «أَخْلَاقُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ» - الْجُمُعَةُ ٢٩-٨-٢٠٠٣م.

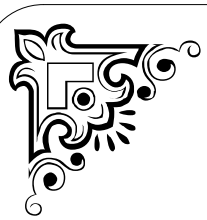

غَرْسُ النَّبِيِّ ﷺ الْقِيَمَ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ

لَقَدْ غَرَسَ النَّبِيُّ ﷺ الْقِيَمَ الْعَظِيمَةَ وَالْأَخْلَاقَ الْفَاضِلَةَ وَالْمُثُلَ النَّبِيلَةَ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟

فَقَالَ: «**تَقْوَىٰ اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.(*).

وَوَجَّهَ نَبِيُّنَا ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ النَّبِيلَةِ؛ حَيْثُ يَقُولُ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ فِي الدُّنْيَا؛ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ**

---

(١) «**الجامع**»: (٤/ ٣٦٣، رقم ٢٠٠٤)، وأخرجه -أيضًا- ابن ماجه: (٢/ ١٤١٨، رقم ٤٢٤٦).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وحسن إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (٢/ ٦٦٩، رقم ٩٧٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَوَّالٍ ١٣٨هـ| ٢٢-٧-٢٠١٧م.

سَتَرَ عَلَىٰ مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا؛ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(١).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ** -يَعْنِي: مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- **شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ؛ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّىٰ يَتَهَيَّأَ لَهُ؛ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ»**.

وَفِي لَفْظٍ: **«وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَتِهِ؛ كَانَ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَاعْتِكَافِهِ، وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ مَظْلُومٍ يُعِينُهُ؛ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ»**(٢). (*).

---

(١) «**صحيح مسلم**»: ٤/ ٢٠٧٤، رقم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه ابن حبان في «**المجروحين**»: ١/ ٣٦٠/ ترجمة سُكَيْن بْن أَبِي سراج، والطبري في معاجمه الثلاثة في «**الكبير**»: ١٢/ ٤٥٣ رقم (١٣٦٤٦)، وفي «**الأوسط**»: ٦/ ١٣٩ - ١٤٠، رقم (٦٠٢٦)، وفي «**الصغير**»: ٢/ ١٠٦ رقم (٨٦١)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: ٦/ ٣٤٨، ترجمة (٣٨٦)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

والحديث حسنه لغيره الألباني في «**الصحيحة**»: ٢/ ٥٧٤، رقم (٩٠٦)، وروي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، نحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ دَرْسِ: «السَّعْيُ فِي قَضَاءِ حَاجَةِ الْآخَرِينَ».

فَمَا أَحْوَجَنَا إِلَى أَنْ نَجْعَلَ هَذِهِ الْقِيَمَ وَالْأَخْلَاقَ مَنْهَجَ حَيَاةٍ وَسُلُوكًا عَمَلِيًّا نَتَعَايَشُ بِهَا فِي مُجْتَمَعِنَا وَمَعَ النَّاسِ جَمِيعًا، يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٤].

ادْفَعْ مَنْ يُرِيدُ مُقَاوَمَةَ دَعْوَتِكَ بِمَا يَضُرُّكَ أَوْ يُؤْذِيكَ، وَيُقْبِلُ عَلَيْكَ بِشَرٍّ.. ادْفَعْهُ بِالْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ مِنْ خُلُقٍ، أَوْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ صَدِيقٌ قَرِيبٌ صَافٍ لَكَ، لَا يَحْمِلُ عَدَاوَةً لَكَ وَلَا كَرَاهِيَةً، بَلْ يَحْمِلُ وُدًّا وَوَلَاءً.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [فصلت: ٣٣-٣٤].

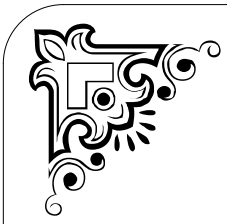

مِنْ مَعَانِي حُسْنِ الْخُلُقِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! مَعْنَىٰ الْخُلُقِ: أَنَّهُ صُورَةُ النَّفْسِ وَأَوْصَافُهَا وَمَعَانِيهَا، كَمَا أَنَّ الْخَلْقَ هُوَ صُورَةُ الْبَدَنِ وَأَوْصَافُهُ وَمَعانِيهِ، وَأَنَّ الْخُلُقَ مُكْتَسَبٌ، فَيَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ، حُسْنًا وَقُبْحًا؛ وَلَكِنَّهُ لَا يُقَالُ لِمَا اكتُسِبَ مِنَ الصِّفَاتِ (خُلُقٌ) حَتَّىٰ يُصْبِحَ هَيْئَةً رَاسِخَةً مُلَازِمَةً ثَابِتَةً.(*).

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: حُسْنُ الْخُلُقِ: طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ»(٢).

وَقَالَ غَيْرُهُ: «**حُسْنُ الْخُلُقِ قِسْمَانِ؛ أَحَدُهُمَا: مَعَ اللهِ** ﷻ: وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا يَكُونُ مِنْكَ يُوجِبُ عُذْرًا، وَكُلَّ مَا يَأْتِي مِنَ اللهِ يُوجِبُ شُكْرًا، فَلَا تَزَالُ شَاكِرًا لَهُ، مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ، سَائِرًا إِلَيْهِ بَيْنَ مُطَالَعَةِ مِنَّتِهِ وَشُهُودِ عَيْبِ نَفْسِكَ وَأَعْمَالِكَ(٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِنْ كِتَابِ «حُسْنِ الْخُلُقِ». الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ.

(٢) «**رياض الصالحين**»: (ص٢١٦).

(٣) «**مدارج السالكين**»: (٢/ ٣٠٨).

الْقِسْمُ الثَّانِي: حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ؛ وَجِمَاعُهُ أَمْرَانِ: بَذْلُ الْمَعْرُوفِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَكَفُّ الْأَذَىٰ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَهَذَا إِنَّمَا يَقُومُ عَلَىٰ أَرْكَانٍ خَمْسَةٍ: الْعِلْمِ، وَالْجُودِ، وَالصَّبْرِ، وَطِيبِ الْعُودِ، وَصِحَّةِ الْإِسْلَامِ(١).

أَمَّا الْعِلْمُ؛ فَلِأَنَّهُ يُعَرِّفُ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَسَفْسَافَهَا، فَيُمْكِنُهُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَذَا وَيَتَحَلَّىٰ بِهِ، وَيَتْرُكَ هَذَا وَيَتَخَلَّىٰ عَنْهُ.

وَأَمَّا الْجُودُ؛ فَسَمَاحَةُ نَفْسِهِ وَبَذْلُهَا، وَانْقِيَادُهَا لِذَلِكَ إِذَا أَرَادَهُ مِنْهَا.

وَأَمَّا الصَّبْرُ؛ فَلِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَىٰ احْتِمَالِ ذَلِكَ وَالْقِيَامِ بِأَعْبَائِهِ؛ لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ.

وَأَمَّا طِيبُ الْعُودِ؛ فَأَنْ يَكُونَ اللهُ -تَعَالَىٰ- خَلَقَهُ عَلَىٰ طَبِيعَةٍ مُنْقَادَةٍ سَهْلَةِ الْقِيَادِ، وَسَرِيعَةِ الِاسْتِجَابَةِ لِدَاعِي الْخَيْرَاتِ.

وَالطَّبَائِعُ ثَلَاثَةٌ: طَبِيعَةٌ حَجَرِيَّةٌ صُلْبَةٌ قَاسِيَةٌ، لَا تَلِينُ وَلَا تَنْقَادُ.

وَطَبِيعَةٌ مَائِيَّةٌ هَوَائِيَّةٌ سَرِيعَةُ الِانْقِيَادِ، مُسْتَجِيبَةٌ لِكُلِّ دَاعٍ؛ كَالْغُصْنِ.. أَيُّ نَسِيمٍ مَرَّ يَعْصِفُهُ، وَهَاتَانِ -يُرِيدُ الطَّبِيعَتَيْنِ- مُنْحَرِفَتَانِ، الْأُولَىٰ لَا تَقْبَلُ، وَهِيَ الْحَجَرِيَّةُ، وَالثَّانِيَةُ لَا تَحْفَظُ، وَهِيَ الْمَائِيَّةُ الْهَوَائِيَّةُ.

وَطَبِيعَةٌ قَدْ جَمَعَتِ اللِّينَ وَالصَّلَابَةَ وَالصَّفَاءَ؛ فَهِيَ تَقْبَلُ بِلِينِهَا، وَتَحْفَظُ بِصَلَابَتِهَا، وَتُدْرِكُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ بِصَفَائِهَا؛ فَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ الْكَامِلَةُ الَّتِي يَنْشَأُ عَنْهَا كُلُّ خُلُقٍ صَحِيحٍ.

---

(١) المصدر السابق: (٢/ ٣٠١).

وَأَمَّا صِحَّةُ الْإِسْلَامِ؛ فَهُوَ جِمَاعُ ذَلِكَ، وَالْمُصَحِّحُ لِكُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ؛ فَإِنَّهُ بِحَسَبِ قُوَّةِ إِيمَانِهِ وَتَصْدِيقِهِ بِالْجَزَاءِ وَحُسْنِ مَوْعُودِ اللهِ وَثَوَابِهِ يَسْهُلُ عَلَيْهِ تَحَمُّلُ ذَلِكَ، وَيَلَذُّ لَهُ الِاتِّصَافُ بِهِ».

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا **لِنَبِيِّهِ** ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ(١) **وَمُجَاهِدٌ**(٢): «لَعَلَىٰ دِينٍ عَظِيمٍ، لَا دِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ وَلَا أَرْضَىٰ عِنْدِي مِنْهُ».

وَقَالَ الْحَسَنُ رضي الله عنه: «هُوَ آدَابُ الْقُرْآنِ»(٣).

وَقَالَ قَتَادَةُ: «هُوَ مَا كَانَ يَأْتَمِرُ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ، وَيَنْتَهِي عَنْهُ مِنْ نَهْيِ اللهِ»(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: (٢٩/ ١٨)، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «**فضائل القرآن**»: (ص ١١٢)، والطبري في «**جامع البيان**»: (٢٩/ ١٨)، بإسناد صحيح.

(٣) «**معالم التنزيل**»: (٨/ ١٨٧).

وأخرج نحوه ابن المبارك في «**الزهد**»: (٢/ ٢١٧، رقم ٦٧٨)، والطبري في «**جامع البيان**»: (٢٩/ ١٩)، والآجري في «**الشريعة**»: (٣/ ١٥١٦، رقم ١٠٢٤)، والبيهقي في «**الدلائل**»: (١/ ٣١٠)، بإسناد صحيح، عن عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قَالَ: «أَدَبُ الْقُرْآنِ».

وروي عن مجاهد نحوه أيضًا، وانظر: «**تفسير الماوردي**»: (٦/ ٦١).

(٤) «**معالم التنزيل**»: (٨/ ١٨٨)، و«**الجامع لأحكام القرآن**»: (١٨/ ٢٢٧).

وأخرج نحوه الطبري في «**جامع البيان**»: (٢٩/ ١٩)، بإسناد صحيح، عن الضَّحَّاك، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: «يَعْنِي: دِينَهُ وَأَمْرَهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِمَّا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ وَوَكَّلَهُ إِلَيْهِ».

وَالْمَعْنَىٰ: إِنَّكَ لَعَلَىٰ الْخُلُقِ الَّذِي آثَرَكَ اللهُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «الصَّحِيحِ»(١) **أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ**: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ».

فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ فَلَا أَسْأَلَ شَيْئًا.

وَقَدْ جَمَعَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لَهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَجْمَعَ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ»(٢).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٣) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا**».

وَفِي التِّرْمِذِيِّ(٤) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**». قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

---

(١) «**صحيح مسلم**»: (١/ ٥١٢ - ٥١٣، رقم ٧٤٦).

(٢) «**معالم التنزيل**»: (٣/ ٣١٦)، و«**فتح الباري**»: (٨/ ٣٠٦).

(٣) «**صحيح البخاري**»: (٦/ ٥٦٦، رقم ٣٥٥٩)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ١٨١٠، رقم ٢٣٢١)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) «**الجامع**»: (٤/ ٣٦٢-٣٦٣، رقم ٢٠٠٢)، وأخرجه أيضًا: (٤/ ٣٦٣، رقم ٢٠٠٣)، وأبو داود: (٤/ ٢٥٣، رقم ٤٧٩٩).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صحح إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (٢/ ٥٣٥-٥٣٧، رقم ٨٧٦).

وَفِيهِ -أَيْضًا- وَصَحَّحَهُ -أَيْ: عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، وَصَحَّحَهُ-[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟

فَقَالَ: «**تَقْوَىٰ اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**».

وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟

فَقَالَ: «**الْفَمُ، وَالْفَرْجُ**».

«**الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ، فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ**».

وَقَدْ قِيلَ: «إِنَّ أَحْسَنَ الْخُلُقِ: بَذْلُ النَّدَىٰ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَاحْتِمَالُ الْأَذَىٰ».

وَقِيلَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ: بَذْلُ الْجَمِيلِ، وَكَفُّ الْقَبِيحِ».

وَقِيلَ: «التَّخَلِّي مِنَ الرَّذَائِلِ، وَالتَّحَلِّي بِالْفَضَائِلِ».

وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَقُومُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ، لَا يُتَصَوَّرُ قِيَامُ سَاقِهِ إِلَّا عَلَيْهَا: الصَّبْرُ، وَالْعِفَّةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْعَدْلُ.

فَالصَّبْرُ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ الِاحْتِمَالِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَكَفِّ الْأَذَىٰ، وَالْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ وَالرِّفْقِ، وَعَدَمِ الطَّيْشِ وَالْعَجَلَةِ.

وَالْعِفَّةُ تَحْمِلُهُ عَلَىٰ اجْتِنَابِ الرَّذَائِلِ وَالْقَبَائِحِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَىٰ الْحَيَاءِ، وَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ، وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ، وَالْبُخْلِ، وَالْكَذِبِ، وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

وَالشَّجَاعَةُ تَحْمِلُهُ عَلَىٰ عِزَّةِ النَّفْسِ، وَإِيثَارِ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ، وَعَلَىٰ الْبَذْلِ وَالنَّدَىٰ الَّذِي هُوَ شَجَاعَةُ النَّفْسِ وَقُوَّتُهَا عَلَىٰ إِخْرَاجِ الْمَحْبُوبِ وَمُفَارَقَتِهِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَىٰ كَظْمِ الْغَيْظِ وَالْحِلْمِ؛ فَإِنَّهُ بِقُوَّةِ نَفْسِهِ وَشَجَاعَتِهَا أَمْسَكَ عِنَانَهَا، وَكَبَحَهَا بِلِجَامِهَا عَنِ التَّسَرُّعِ وَالْبَطْشِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الشَّجَاعَةِ، وَهِيَ مَلَكَةٌ يَقْتَدِرُ بِهَا الْعَبْدُ عَلَىٰ قَهْرِ خَصْمِهِ.

وَالْعَدْلُ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ اعْتِدَالِ أَخْلَاقِهِ، وَتَوَسُّطِهِ فِيهَا بَيْنَ طَرَفَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، فَيَحْمِلُهُ عَلَىٰ خُلُقِ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ الَّذِي هُوَ تَوَسُّطٌ بَيْنَ الْإِمْسَاكِ وَالْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، وَعَلَىٰ خُلُقِ الْحَيَاءِ الَّذِي هُوَ تَوَسُّطٌ بَيْنَ الذُّلِّ وَالْقِحَةِ، وَعَلَىٰ خُلُقِ الشَّجَاعَةِ الَّذِي هُوَ تَوَسُّطٌ بَيْنَ الْجُبْنِ وَالتَّهَوُّرِ، وَعَلَىٰ خُلُقِ الْحِلْمِ الَّذِي هُوَ تَوَسُّطٌ بَيْنَ الْغَضَبِ وَالْمَهَانَةِ وَسُقُوطِ النَّفْسِ.

وَمَنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ: الصَّبْرُ، وَالْعِفَّةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْعَدْلُ»(٢).(*).

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري: (١٠/ ٥١٩، رقم ٦١١٤)، ومسلم: (٤/ ٢٠١٤، رقم ٢٦٠٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

والحديث -أيضًا- في «**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢٠١٤، رقم ٢٦٠٨)، من رواية: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، بمثله.

(٢) «**مدارج السالكين**»: (٢/ ٢٩٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَوَّالٍ ١٣٨هـ| ٢٢-٧-٢٠١٧م.

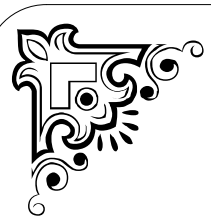

جُمْلَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخُلُقِ

عِبَادَ اللهِ! قَدْ تَشْتَبِهُ الْمَسَالِكُ، وَتَتَشَابَهُ الدُّرُوبُ، وَتَضِلُّ الْأَفْهَامُ، وَتَزِلُّ الْأَقْدَامُ، وَتَعْظُمُ حَاجَةُ الْعَبْدِ إِلَىٰ عَلَامَةٍ يَعْرِفُ بِهَا حُسْنَ الْخُلُقِ وُجُودًا وَعَدَمًا، وَتَحْصِيلًا وَفَقْدًا؛ بِحَيْثُ إِنَّهُ مَنْ أُشْكِلَ عَلَيْهِ حَالُهُ؛ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَىٰ تِلْكَ الْعَلَامَةِ، فَعَرَفَ أَيْنَ يَكُونُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَسُوئِهِ.

وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ ذَلِكَ تُعْلِمُ الْعَبْدَ آيَةَ حُسْنِ الْخُلُقِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٤].

«فَمَنْ أُشْكِلَ عَلَيْهِ حَالُهُ؛ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَىٰ هَذِهِ الْآيَاتِ، فَوُجُودُ جَمِيعِ هَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَامَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَفَقْدُ جَمِيعِهَا عَلَامَةُ سُوءِ الْخُلُقِ، وَوُجُودُ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ يَدُلُّ عَلَىٰ الْبَعْضِ دُونَ الْبَعْضِ؛ فَلْيَشْتَغِلْ بِتَحْصِيلِ مَا فَقَدَهُ، وَحِفْظِ مَا وَجَدَهُ.

وَجَمَعَ بَعْضُهُمْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخُلُقِ، فَقَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الْحَيَاءِ، قَلِيلَ الْأَذَىٰ، كَثِيرَ الصَّلَاحِ، صَدُوقَ اللِّسَانِ، قَلِيلَ الْكَلَامِ، كَثِيرَ الْعَمَلِ، قَلِيلَ الزَّلَلِ، قَلِيلَ الْفُضُولِ، بَرًّا وَصُولًا، شَكُورًا، رَضِيًّا حَلِيمًا، رَفِيقًا عَفِيفًا شَفِيقًا، لَا لَعَّانًا وَلَا سَبَّابًا، وَلَا نَمَّامًا وَلَا مُغْتَابًا، وَلَا عَجُولًا، وَلَا حَقُودًا، وَلَا بَخِيلًا وَلَا حَسُودًا، بَشَّاشًا هَشَّاشًا، يُحِبُّ فِي اللهِ وَيُبْغِضُ فِي اللهِ، وَيَرْضَىٰ فِي اللهِ وَيَغْضَبُ فِي اللهِ، وَأَوَّلُ مَا يُمْتَحَنُ بِهِ حُسْنُ الْخُلُقِ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ، وَاحْتِمَالُ الْجَفَاءِ، وَمَنْ شَكَىٰ مِنْ سُوءِ خُلُقِ غَيْرِهِ؛ دَلَّ عَلَىٰ سُوءِ خُلُقِهِ؛ فَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ احْتِمَالُ الْأَذَىٰ».

فَدُونَكَ الْمِيزَانَ الَّذِي يَزِنُ بِهِ الْعَبْدُ خُلُقَهُ، فَلْتَعْرِضْ عَلَيْهِ نَفْسَكَ، ثُمَّ فَلْتُنْزِلْهَا بَعْدُ حَيْثُ هِيَ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيطٍ وَلَا إِفْرَاطٍ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِنْ كِتَابِ: «حُسْنِ الْخُلُقِ». الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ.

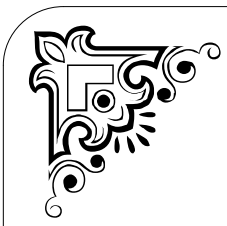

الِانْهِيَارُ الْأَخْلَاقِيُّ وَاقِعٌ مُؤْلِمٌ!!

إِنَّ أَكْبَرَ الْأَخْطَارِ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لَهَا أُمَّةٌ، وَإِنَّ أَعْظَمَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَفْتِكُ بِبُنْيَانِهَا الْحَيِّ حَتَّىٰ يَصِيرَ ضَعِيفًا مَهْدُومًا؛ إِنَّ أَكْبَرَ الْأَخْطَارِ وَأَعْظَمَ الْأَمْرَاضِ: **الِانْهِيَارُ الْخُلُقِيُّ**.

فَإِذَا انْهَارَتْ أَخْلَاقُ أُمَّةٍ؛ فَكَبِّرْ عَلَيْهَا أَرْبَعًا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَعَاصِيَ سَبَبُ النَّكَبَاتِ، وَأَنَّهُ مَا يُصِيبُنَا شَيْءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَأَنَّ النِّعَمَ لَا تُرْفَعُ إِلَّا بِكُفْرَانِهَا، وَبِتَغْيِيرِ مَا بِالنَّفْسِ؛ فَإِنَّ النِّعْمَةَ صَيْدٌ، وَالشُّكْرَ قَيْدٌ.. النِّعْمَةُ صَيْدٌ، وَالشُّكْرُ قَيْدٌ، وَالشُّكْرُ تَثْبِيتُ الْمَوْجُودِ، وَتَحْصِيلُ الْمَفْقُودِ.

وَمَا قُيِّدَتْ نِعْمَةٌ أَنْعَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا عَلَىٰ عَبْدٍ عِنْدَهُ إِلَّا بِشُكْرِهَا وَالْقِيَامِ بِحَقِّهَا.

فَإِذَا تَهَاوَنَ النَّاسُ بِشُكْرِ النِّعَمِ، فَأَغْرَقُوا فِي الْمَعَاصِي فَاسْتَغْرَقَتْهُمْ، وَيَمَّمُوا الْخَنَا فَابْتَلَعَهُمْ فِي يَمِّهِ.

إِذَا انْهَارَتْ أَخْلَاقُ مُجْتَمَعٍ؛ فَكَبِّرْ عَلَيْهِ أَرْبَعًا، لَيْسَ فَقَطْ كَبِّرْ عَلَيْهِ أَرْبَعًا، وَإِنَّمَا رُبَّمَا مَا هُوَ أَفْدَحُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ كَبَّرْتَ عَلَىٰ مَيِّتٍ أَرْبَعًا فَقَدْ مَاتَ مُسْلِمًا،

وَلَكِنْ أَنْ يُفْتَنَ، أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْ عَقِيدَتِهِ، أَنْ يُفَارِقَ إِيمَانَهُ وَيُطَلِّقَ إِسْلَامَهُ؛ فَهَذَا شَيْءٌ فَظِيعٌ!!

مَعْلُومٌ أَنَّ الْأُمَمَ الْبَائِدَةَ، وَأَكْثَرُ مَا فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْآيِ إِنَّمَا هُوَ فِي مَصَارِعِ الْأُمَمِ الْهَالِكَةِ، وَفِيمَا قَصَّ عَلَيْنَا رَبُّنَا مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبِينَ لِأَنْبِيَائِهِمْ، وَمَا كَانَ مِنْ أَحْوَالِ الرُّسُلِ مَعَ أَقْوَامِهِمْ، مَعَ ذِكْرِ مَا حَلَّ بِأُولَئِكَ الْأَقْوَامِ الْمُكَذِّبِينَ.

أَفَتَحْسَبُ أَنَّ ذَلِكَ ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ لِلتَّسْلِيَةِ، وَإِزْجَاءِ أَوْقَاتِ الْفَرَاغِ؟!!

أَفَتَحْسَبُ أَنَّهُ لَمْ يُسَقْ لِلْعِبْرَةِ وَالْعِظَةِ وَالتَّأَمُّلِ وَالْمَخَافَةِ أَنْ يَحُلَّ بِالنَّاسِ إِذَا كَانُوا كَهَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ.. أَنْ يَحُلَّ بِهِمْ مِثْلُ مَا حَلَّ بِالْأَوَّلِينَ الْمُعَذَّبِينَ الْمُهْلَكِينَ مِنَ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ؟!!

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُعَاقِبُ مُجْتَمَعًا إِلَّا بِذَنْبِهِ.

وَلَوْ تَأَمَّلْتَ لَوَجَدْتَ فِي مَسِيرَةِ التَّارِيخِ يَتَوَالَىٰ الْعِقَابُ تِلْوَ الْعِقَابِ بِمَنْ عَصَىٰ.

مَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبَوَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ؟! مِنْ دَارِ الْحُبُورِ، وَالنُّورِ، وَالنَّعِيمِ، وَالسُّرُورِ، وَالْهَنَاءَةِ، وَالْغِبْطَةِ، وَعَدَمِ الْمَشَقَّةِ؟!!

مَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبَوَيْنِ مِنْ ذَلِكَ النَّعِيمِ إِلَىٰ الدُّنْيَا دَارِ الشَّقَاءِ وَالنَّصَبِ، وَالْهُمُومِ وَالْغُمُومِ، وَالْأَنْصَابِ وَالتَّعَبِ؟!!

مَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبَوَيْنِ مِنَ النَّعِيمِ إِلَىٰ دَارِ الشَّقَاءِ وَالنَّصَبِ، وَالْبَلَاءِ وَالتَّعَبِ؟!!

الْمَعْصِيَةُ!!

فَلَمَّا عَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ، وَأَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي حَرَّمَ أَكْلَهَا عَلَيْهِ؛ أَخْرَجَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَىٰ دَارِ الِابْتِلَاءِ وَالْمِحْنَةِ، وَكَانَ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ تَارِيخِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ بِتَعَاقُبِ الْهِدَايَاتِ مِنْ لَدُنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَتَنْبِيءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ؛ لِهِدَايَةِ الْبَشَرِ، مَعَ التَّكْذِيبِ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ الْغَابِرَةِ، مَعَ مَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ تَكْذِيبِ رُسُلِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ الْمَاحِقِ، وَالِاسْتِئْصَالِ الَّذِي يَسْتَأْصِلُهُمْ، وَلَا يُبْقِي مِنْهُمْ أَحَدًا فِي مَسِيرَةِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ، حَتَّىٰ جَاءَ الرَّسُولُ ﷺ فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَمَنْ كَذَّبَهُ لَمْ يُعَاجِلْهُ اللهُ بِالْعُقُوبَةِ كَمَا هِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

مَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبَوَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ؟!!

وَمَا الَّذِي حَوَّلَ حَالَ إِبْلِيسَ وَكَانَ يَتِيهُ بِطَاعَتِهِ مَعَ مَا اسْتَقَرَّ فِي قَلْبِهِ مِنْ كِبْرٍ وَغِلٍّ وَحَسَدٍ؟!! مَا الَّذِي حَوَّلَ حَالَهُ -وَكَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ-، وَكَانَ مُقَرَّبًا حَتَّىٰ صَارَ -عِنْدَمَا عَصَىٰ رَبَّهُ؛ فَلَمْ يَسْجُدْ لِآدَمَ- قَوَّادًا لِكُلِّ فَاجِرٍ وَفَاجِرَةٍ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ؛ فَتَاهَ بِنَفْسِهِ تِيهَ الطَّاوُوسِ، وَاسْتَكْبَرَ أَنْ يَسْجُدَ لِآدَمَ، وَرَضِيَ أَنْ يَكُونَ قَوَّادًا لِكُلِّ دَاعِرٍ وَدَاعِرَةٍ، وَفَاجِرٍ وَفَاجِرَةٍ، وَغَوِيٍّ وَغَوِيَّةٍ مِنْ نَسْلِ آدَمَ.

فَأَيُّ اخْتِيَارٍ هَذَا؟!!

إِنَّ الَّذِي حَوَّلَ حَالَهُ، وَجَعَلَهُ مُبْلَسًا آيِسًا مِنَ الرَّحْمَةِ، مُخَلَّدًا فِي الْعَذَابِ: مَعْصِيَتُهُ لِرَبِّ الْأَرْبَابِ.

مَا الَّذِي أَغْرَقَ جَمِيعَ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِالطُّوفَانِ حَتَّىٰ عَلَا الْمَاءُ رُءُوسَ الْجِبَالِ، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِنُوحٍ وَكَانَ مَعَهُ؟!!

مَا الَّذِي عَمَّ الْأَرْضَ بِذَلِكَ؟!!

الْمَعْصِيَةُ، وَالذَّنْبُ؛ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ، وَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يُعَانِدُوهُ، وَأَنْ يَعْبُدُوا الْأَصْنَامَ، وَأَنْ يُشْرِكُوا بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَعَمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَفَجَّرَ الْأَرْضَ عُيُونًا، وَفَتَحَ السَّمَاءَ أَبْوَابًا، وَالْتَقَىٰ الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ؛ حَتَّىٰ غَطَّىٰ رُءُوسَ الْجِبَالِ، وَنُوحٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَخْلُوقَاتِ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، أَنْجَاهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

فَنَجَّىٰ اللهُ أَهْلَ الطَّاعَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالْإِيمَانِ، وَأَهْلَكَ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ وَالْعِنَادِ وَالْخُسْرَانِ.

مَا الَّذِي سَلَّطَ عَلَىٰ عَادٍ الرِّيحَ الْعَقِيمَ تَقْتَلِعُهُمْ وَتَقْتَلِعُ مَا لَدَيْهِمْ حَتَّىٰ تَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ بَيْنَ جُنُوبِهِمْ، وَصَارُوا كَأَعْجَازِ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ؟!!

مَا الَّذِي أَرْسَلَ الصَّيْحَةَ عَلَىٰ قَوْمِ ثَمُودَ؟!!

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَذَابَ يَوْمِ الظُّلَّةِ عَلَىٰ قَوْمِ شُعَيْبٍ؟!!

مَا الَّذِي أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ؟!!

الْمَعْصِيَةُ؛ كُلُّ ذَلِكَ بِشُؤْمِ الْمَعْصِيَةِ.

إِنَّ الطُّيُورَ لَتَحْتَرِقُ فِي أَعْشَاشِهَا مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ.

إِنَّهُ إِذَا مَا أَمْسَكَ اللهُ قَطْرَ السَّمَاءِ، وَمَنَعَ نَبَاتَ الْأَرْضِ، مَا يَكُونُ مِنْ كَائِنٍ حَيٍّ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ بِشُؤْمِ مَعْصِيَتِهِ.

مَا يُصِيبُ مُجْتَمَعًا مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ مِنْ شَيْءٍ يَسُوءُهُ إِلَّا بِذَنْبٍ.

وَكَمَا فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُخَاطِبُ الْمُهَاجِرِينَ، وَيَدُلُّهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُ سَتَظْهَرُ أَدْوَاءٌ وَأَمْرَاضٌ لَمْ تَكُنْ فِي الْأَسْلَافِ، وَذَلِكَ حِينَ يَسْتَعْلِنُ الْخَلْقُ بِالْفَاحِشَةِ، لَا يَتَوَارُونَ وَلَا يَسْتَحُونَ، وَيَأْتُونَ بِهَا جِهَارًا نَهَارًا، إِذَا أَتَوْا بِالْفَاحِشَةِ يَسْتَعْلِنُونَ بِهَا؛ ظَهَرَتْ فِيهِمْ مِنَ الْأَوْبِئَةِ وَالْأَمْرَاضِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ.

كُلُّ ذَلِكَ بِالذُّنُوبِ؛ فَأَعْظَمُ مَا يُخَافُ مِنْهُ: الِانْهِيَارُ الْأَخْلَاقِيُّ؛ لِأَنَّهُ دَلَالَةٌ عَلَىٰ ضَعْفِ قَبْضَةِ الدِّينِ عَلَىٰ الْقُلُوبِ.

انْمَحَىٰ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَصَارَ الْخَنَا عَلَىٰ قَوَارِعِ الطَّرِيقِ -فِيمَا يُسَمُّونَهُ أَفْرَاحًا-، وَإِنَّمَا هِيَ أَتْرَاحُ الْقُلُوبِ.

صَارَ الْخَنَا وَالْفُحْشُ وَالْفُجُورُ عَلَىٰ قَوَارِعِ الطُّرُقِ غَيْرَ مُسْتَتِرٍ وَلَا مُسْتَحْيٍ مِنْ أَحَدٍ!!

أَيْنَ الْحَيَاءُ؟!!

أَيْنَ الْغَيْرَةُ؟!!

أَيْنَ الْمُرُوءَةُ؟!!

مَا هَذَا؟!!

كَيْفَ يَقْبَلُ رَجُلٌ، رَجُلٌ -لَا أَقُولُ مُسْلِمٌ- رَجُلٌ، رَجُلٌ!! إِنَّ التَّيْسَ يَغَارُ عَلَىٰ أُنْثَاهُ، إِنَّ الْعَنَاكِبَ لَمَّا صُوِّرَتْ تَصْوِيرًا دَقِيقًا تَبَيَّنَ عِنْدَهَا مِنْ أُمُورٍ تَتَعَلَّقُ بِالْغَيْرَةِ مَا تَبَدَّىٰ فِي عَالَمِ الْحَشَرَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ.

وَيَقُولُ الْمُتَخَصِّصُونَ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الْغَيْرَةَ غَيْرُ مُنْعَدِمَةٍ فِي الْحَيَوَانَاتِ خَلَا الْخِنْزِيرَ، فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَرَىٰ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ أُنْثَاهُ يُوَاقِعُهَا غَيْرُهُ وَلَا يُلْقِي بَالًا.

لَا بَأْسَ.. لَا بَأْسَ!!

أَصَارَتِ النُّفُوسُ خِنْزِيرِيَّةً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَىٰ هَذَا الْحَدِّ؟!!

أَيْنَ الْغَيْرَةُ عِنْدَ الرَّجُلِ؛ أَلَّا يَعْرِضَ ابْنَتَهُ لِلنُّفُوسِ الظَّامِئَةِ الْمَسْعُورَةِ الشَّبِقَةِ، وَالْأَعْيُنِ الْمُتَلَظِّيَةِ بِالشَّهْوَةِ وَالظُّنُونِ الْمَاحِقَةِ!!

أَوَيَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ امْرَأَتُكَ فِي لَيْلِ بِنَائِكَ بِهَا مَادَّةَ الْأَحْلَامِ عِنْدَ الشَّبَابِ بِلَيْلٍ حَتَّىٰ يَسْتَوْجِبُونَ الْغُسْلَ؟!!

أَيَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ امْرَأَتُكَ مَادَّةَ الْأَحْلَامِ بِاللَّيْلِ بِالنَّزَوَاتِ الطَّائِشَةِ وَالْخَوَاطِرِ الْمَاجِنَةِ الْفَاجِرَةِ؟!!

وَيْحَكَ!!

أَيْنَ الْغَيْرَةُ؟!!

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَغَارُ، وَغَيْرَتُهُ أَنْ تُؤْتَىٰ فِي الْأَرْضِ مَحَارِمُهُ.

وَإِذَا لَمْ يَغَرِ الْخَلْقُ عَلَىٰ مَحَارِمِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ غَارَ اللهُ عَلَيْهَا، فَأَنْزَلَ نِقْمَتَهُ.

«مَا اسْتَعْلَنَ قَوْمٌ بِالْفَاحِشَةِ إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَدْوَاءِ.. مِنَ الْأَمْرَاضِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ»(١).

أَلَيْسَ إِخْرَاجُ النِّسَاءِ مِنَ الْحَيْزَبُونِ الَّتِي انْقَطَعَتِ الرَّغْبَةُ فِيهَا بَتَّةً إِلَىٰ الْبِنْتِ الرَّضِيعَةِ.. أَلَيْسَ إِخْرَاجُ النِّسَاءِ مَا بَيْنَ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ إِلَىٰ قَوَارِعِ الطُّرُقِ، وَعَرْضُ ذَلِكَ عَلَىٰ الْمَارَّةِ وَمَنْ حَضَرَ.. أَلَيْسَ هَذَا إِعْلَانًا بِالْفَاحِشَةِ؟!!

إِنْ لَمْ يَكُنْ إِعْلَانًا بِالْفَاحِشَةِ؛ فَمَا هُوَ الْإِعْلَانُ بِالْفَاحِشَةِ إِذَنْ؟!!

كَيْفَ دَخَلَ هَذَا الْبَلَاءُ عَلَيْنَا؟!!

كَيْفَ تَحَوَّلْنَا هَذَا التَّحَوُّلَ فِي ثَلَاثَةِ عُقُودٍ، لَا تَزِيدُ؟!! كَيْفَ؟!!

لَقَدْ كَانَتِ الْقُرَىٰ قَبْلُ رَصِيدًا اسْتِرَاتِيجِيًّا لِدِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ بِالْحِفَاظِ عَلَىٰ الْأَخْلَاقِ، بِالْغَيْرَةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْمُرُوءَةِ، وَرِعَايَةِ الْحُدُودِ، وَعَدَمِ التَّجَاوُزِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، مَعَ عُمُومِ الْجَهْلِ فِيهَا؛ وَلَكِنَّهَا بَقَايَا مَوْرُوثٍ قَدِيمٍ مِنْ أَخْلَاقِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ كَانَتْ كَذَلِكَ؛ فَمَاذَا صَارَتْ؟!!

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (رقم ٤٠١٩) ، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٤٠ - ٥٤١، رقم ٨٦٢٣) ، وحسنه لغيره الألباني في «الصحيحة» (١/ رقم ١٠٦) ، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ رقم ٧٦٤) و(٢/ رقم ١٧٦١ و٢٤١٩).

وَمِنْ أَيْنَ دَخَلَهَا هَذَا الْبَلَاءُ الْمَاحِقُ حَتَّىٰ مَا أَبْقَىٰ بَيْتَ حَجَرٍ وَلَا مَدَرٍ إِلَّا وَشَارَفَهُ؛ إِلَّا مَا عَصَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!!

أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟!!

مَنْ يَقْبَلُ أَنْ يُنْتَهَكَ عِرْضُهُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ؟!!

مَنْ يَقْبَلُ أَنْ تُعْرَضَ مَحَارِمُهُ بِرَقْصٍ مَاجِنٍ دَاعِرٍ وَهُوَ يَقِفُ؟!!

أَيُّ رُجُولَةٍ هُنَا؟!!

لَا نَقُولُ: أَيُّ دِينٍ هُنَا، وَلَكِنْ: أَيُّ رُجُولَةٍ هُنَا؟!!

أَنْ يَقِفَ الْمَرْءُ وَقَدْ نَصَبُوا لِلنِّسْوَةِ مَا نُصِبَ لَهُنَّ، وَامْرَأَةٌ تَخْرُجُ تَتَهَتَّكُ كَأَنَّهَا امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تَقُولُ: هَيْتَ لَكَ، وَالرَّجُلُ؛ رَجُلُهَا -بَلْ هِيَ رَجُلُهُ وَهُوَ أُنْثَاهَا- وَيَرَىٰ هَذَا، وَلَا يَتَحَرَّكُ فِيهِ نَازِعُ نَخْوَةٍ!!

سُبْحَانَ اللهِ!!

مَا الَّذِي دَهَىٰ الْخَلْقَ؟!!

أَيْنَ الرُّجُولَةُ؟!!

لَا نَقُولُ: أَيْنَ الدِّينُ؟!!

فَإِنَّ الِالْتِزَامَ بِدِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَجْعَلُ ذَلِكَ تَحْتَ مَوَاطِئِ الْأَقْدَامِ، لَيْسَ لَهُ وُجُودٌ فِي دِينِ اللهِ.

مَعْلُومٌ مَا عَلَيْهِ دِينُ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الطُّهْرِ وَالْعَفَافِ، وَمَا جَعَلَ لِلْمَرْأَةِ مِنْ عَظِيمِ الْمَكَانَةِ مِمَّا أَرَادَ أَعْدَاءُ هَذَا الدِّينِ أَنْ يُنْزِلُوا الْمَرْأَةَ عَنْ تِلْكَ الْمَكَانَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي جَعَلَهَا عَلَيْهَا وَفِي ذِرْوَتِهَا الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ.

لَقَدْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تُورَثُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ فِي أُورُبَّا فِيمَا يُسَمُّونَهُ بِعُصُورِ الظَّلَامِ، وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَخْتَلِفْ كَثِيرًا؛ فَمَا زَالُوا فِي عُصُورِ الظَّلَامِ!!

أَيُّ جَدِيدٍ؟!!

بَلْ هُمُ الْيَوْمَ عَلَىٰ الْفُجُورِ أَقْوَىٰ، وَعَلَىٰ سَفْكِ الدِّمَاءِ أَعْتَىٰ؛ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ أَظْلَمُ وَأَفْجَرُ مِمَّا كَانُوا قَبْلُ، وَلَكِنْ كَانُوا لَا يَعُدُّونَ الْمَرْأَةَ شَيْئًا.

بَلْ إِنَّ مَجَامِعَ الْفِكْرِ كَانَتْ مَشْغُولَةً بِقَضِيَّةٍ لَمْ يَجِدُوا لَهَا حَلًّا: «هَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ أَصْلًا، أَمْ هِيَ أُنْثَىٰ حَيَوَانٍ مُنْقَرِضٍ لَمَّا انْقَرَضَ ذَكَرُهَا بَحَثَتْ عَنْ بَدِيلٍ لَهُ، فَوَجَدَتْ هَذَا الرَّجُلَ.. هَذَا الْبَشَرَ، فَاتَّخَذَتْهُ لَهَا رَجُلًا وَذَكَرًا؟!!».

هَكَذَا كَانُوا يُفَكِّرُونَ، وَمَا زَالُوا.

فَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَا يُوَرِّثُونَ لَا الْبَنِينَ وَلَا الْبَنَاتِ، بَلِ الْمِيرَاثُ كُلُّهُ يَؤُولُ فِي النِّهَايَةِ إِلَىٰ الِابْنِ الْأَكْبَرِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ!!

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَنَوْا مَا بَنَوْا مِمَّا يُقَالُ لَهُ حَضَارَةٌ، وَلَيْسَ بِحَضَارَةٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِلظَّلَامِ حَضَارَةٌ؛ بَنَوْا مَا بَنَوْا عَلَىٰ أَسَاطِيرِ الْيُونَانِ وَآلِهَةِ الْيُونَانِ؛ كَانُوا يَخُونُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْآلِهَةِ الْمُؤَنَّثَاتِ، وَأَمَّا الْآلِهَةُ الذُّكُورُ فَبَارِعُونَ فِي الْخِيَانَةِ!!

بَلْ إِنَّ مِنَ الْآلِهَةِ عِنْدَ الْيُونَانِ مَنْ وَاقَعَهَا مِنَ الرِّجَالِ مَنْ وَاقَعَ، وَحَمَلَتْ وَأَتَتْ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ؛ كَـ(آخِيلَ) فَهُوَ ابْنُ إِلَهَةٍ -كَمَا يَقُولُونَ!!- مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْبَشَرِ.

وَرِثُوا هَذَا كُلَّهُ، وَلَمْ يَعُدُّوا الْعَالَمَ الْآخَرَ شَيْئًا، وَأَنْكَرُوا الْقِيَامَةَ وَالْقِيَامَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَحُرِّفَتْ دِيَانَةُ الْمَسِيحِ عليه السلام عَلَىٰ يَدَيِ الْوَثَنِيِّينَ، لَمَّا أَرَادَ قِسْطَنْطِينُ أَنْ يَجْعَلَهَا دِيَانَةً عَامَّةً شَامِلَةً لِلرُّومَانِ؛ فَلَا يُدْرَىٰ أَتَنَصَّرَ الرُّومَانُ أَوْ تَرَوْمَنَتِ النَّصْرَانِيَّةُ؟!!

مَا لَنَا وَلِهَذَا جَمِيعِهِ؟!!

هُمْ يَنْبِذُونَنَا لِأَنَّنَا نُعَامِلُ الْمَرْأَةَ مُعَامَلَةً فِيهَا تَدَنٍّ -وَحَاشَا لِلهِ-، بَلْ إِنَّ الْمَرْأَةَ فِي دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ صَاحِبَةُ مَشُورَةٍ كَمَا أَشَارَتْ أُمُّ سَلَمَةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّحَلُّلِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ.

النَّبِيُّ ﷺ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي بَيْتِهِ وَأَحْوَالِهِ الْخَاصَّةِ مَا كَانَ، وَنُقِلَ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ- رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِنَّ-.

الْمَرْأَةُ تَكُونُ مُسْنِدَةً لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَحَامِلَةً لِلْعِلْمِ، وَلَيْسَتْ مُمَارَسَةٌ خَاطِئَةٌ بِعَادَاتٍ بَاطِلَةٍ بِمُغَيِّرَةٍ فِي دِينِ اللهِ وَأُصُولِهِ شَيْئًا، وَلَكِنْ يُعَادُ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَإِلَىٰ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلًا وَعَمَلًا وَتَقْرِيرًا؛ لِيُنْظَرَ كَيْفَ عَامَلَ الْإِسلَامُ الْمَرْأَةَ.

كَانَتْ تُورَثُ، فَإِذَا مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا فَلِابْنِهِ الْأَكْبَرِ مِنْ غَيْرِهَا الْحَقُّ الْمُطْلَقُ فِيهَا؛ فَتَصِيرُ بَعْدُ إِلَيْهِ، لَيْسَ لَهَا مِيرَاثٌ، وَلَيْسَ لَهَا فِي بَيْتٍ كَلَامٌ، بَلْ هِيَ تُوأَدُ، وَلَعَلَّهُ مَا زَالَ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا عِنْدَ الْهَنَادِكَةِ أَنَّ الْمَرْأَةَ وَلَوْ كَانَتْ شَابَّةً حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِصِبًىٰ وَمَاتَ زَوْجُهَا؛ فَإِنَّهَا تُدْفَنُ حَيَّةً مَعَهُ فِي قَبْرِهِ.

هَذِهِ عَقِيدَتُهُمْ!!

وَأَمَّا نَحْنُ؛ فَإِنَّ دِينَنَا كَرَّمَ الْإِنْسَانَ فِي عُمُومِهِ؛ إِذْ هُوَ خَلْقُ اللهِ؛ خَلْقُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْمُكَرَّمُ، لَا كَمَا يَقُولُ الْمُبْطِلُونَ كَـ(دَارْوِنْ) وَأَتْبَاعِهِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ نَشَأَ تَطَوُّرًا حَتَّىٰ صَارَ إِلَىٰ مَا صَارَ إِلَيْهِ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْهِ عَلَىٰ حَسَبِ التَّرَقِّي فِي النَّوْعِ لَا فِي الْجِنْسِ!!

كَذَا يَقُولُ!!

وَيُقَالُ لَهُ: وَمَا الَّذِي حَوَّلَ التُّرَابَ الْحَقِيرَ إِلَىٰ فِجْلٍ وَجَرْجِيرٍ، وَبِغَالٍ وَحَمِيرٍ، وَهَذَا الْإِنْسَانِ الْخَطِيرِ؟!!

مَنِ الْخَالِقُ لِهَذَا؟!!

مَنِ الَّذِي صَرَّفَهُ وَسَوَّاهُ وَعَدَلَهُ فَأَبْقَاهُ؟!!

إِنَّهُ اللهُ.

هَذَا الدِّينُ يُعَلِّمُنَا الطَّهَارَةَ، وَالْحِفَاظَ عَلَىٰ الْأَعْرَاضِ، وَكَانَتْ كَلِمَةٌ كَفِيلَةً بِإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ.

وَمَعْلُومٌ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ نَثْرًا وَشِعْرًا.

مَعْلُومٌ أَنَّ الِاعْتِدَاءَ عَلَىٰ الْأَعْرَاضِ بِالْكَلَامِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السِّهَامِ؛ فَكَيْفَ إِذَا اسْتُبِيحَتِ الْحُرُمَاتُ؟!! وَلَمْ يَجْبُرْ أَحَدٌ أَحَدًا عَلَىٰ إِبْرَازِ مَكْنُونَاتِ مَفَاتِنِ أَهْلِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ يَتَطَوَّعُ بِذَلِكَ غَيْرَ مَشْكُورٍ، مَأْزُورًا غَيْرَ مَأْجُورٍ.

أَيُّ عَبَثٍ هَذَا؟!!

إِنَّ الِانْهِيَارَ الْأَخْلَاقِيَّ فِي مُجْتَمَعٍ هُوَ أَخْطَرُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُعَانِيَ مِنْهُ الْمُجْتَمَعُ.

وَإِنِّي أُحَذِّرُ مِنَ الِانْهِيَارِ الْأَخْلَاقِيِّ بِآثَارِهِ وَنَتَائِجِهِ.

اتَّقُوا اللهَ! أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ اتَّقُوا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي أَخْلَاقِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ فَهِيَ أَصْلٌ مِنْهُ، وَثَمَرَةٌ عَنْهُ، وَنَتِيجَةٌ لَهُ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**» ﷺ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يُرَخِّصْ فِي شَيْءٍ يُغْضِبُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَطُّ؛ فَكَيْفَ يُجَانِبُ هَدْيُهُ هَذِهِ الْمُجَانَبَةَ؟!!

إِذَا انْهَارَ مُجْتَمَعٌ أَخْلَاقِيًّا؛ لَنْ تَضْبِطَهُ يَدٌ قَابِضَةٌ بِحَالٍ؛ لِأَنَّهُ يَتَفَلَّتُ -حِينَئِذٍ-، وَيَضْرِبُ الْفَسَادُ بِأَطْنَابِهِ وَأَرْوِقَتِهِ فِي جَمِيعِ مَنَاحِيهِ حَتَّىٰ يَشُلَّهُ شَلَلًا كَامِلًا، فَيَظَلَّ -حِينَئِذٍ- جُثَّةً هَامِدَةً لَا حَيَاةَ فِيهَا وَلَا حَرَاكَ مَعَهَا، وَهَذَا خَطِيرٌ جِدًّا!!

وَمَا قَرَّتْ عَيْنُ عَدُوٍّ يَتَرَبَّصُ بِأُمَّةٍ بِمِثْلِ نُزُولِ الِانْهِيَارِ الْأَخْلَاقِيِّ بِسَاحَةِ أَبْنَائِهَا.

الْكُفَّارُ عِنْدَهُمْ مَا يَعُدُّونَهُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ، يَلْتَزِمُونَهُ، وَلَا يَحِيدُونَ عَنْهُ، وَهُوَ بَاطِلٌ فِي بَاطِلٍ، وَمَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَثَارَةٍ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّمَا هِيَ مِنْ آثَارِ اتِّبَاعِ الْمُرْسَلِينَ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْلَمُ صَالِحَهُ مِنْ طَالِحِهِ، وَلَا مَا يَنْفَعُهُ مِمَّا يَضُرُّهُ إِلَّا بِالْوَحْيِ الْمَعْصُومِ.

فَمَا قَرَّتْ عَيْنُ عَدُوٍّ قَطُّ يَتَرَبَّصُ بِأُمَّةٍ رَيْبَ الْمَنُونِ بِمِثْلِ فَسَادِ أَخْلَاقِهَا.

وَلِذَلِكَ كَانَ أَوَّلَ مَا حَرَصَ عَلَيْهِ مَنْ حَرَصَ فِي إِدْخَالِ الْفَسَادِ عَلَىٰ رُبُوعِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.. كَانَ أَوَّلَ مَا حَرَصَ عَلَيْهِ مَنْ حَرَصَ: أَنْ يُخْرِجَ الْمَرْأَةَ مِنْ خِدْرِهَا، وَأَنْ يَجْعَلَهَا مُبْتَذَلَةً كَنِسَائِهِمْ، لَا شَرَفَ هُنَالِكَ وَلَا فَضِيلَةَ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ صَنْعَةٌ أَرْضِيَّةٌ، وَلَمْ يَتَنَزَّلْ بِهِ وَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُونَ كَاذِبِينَ جَائِرِينَ ظَالِمِينَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الَّذِي صَنَعَ الْإِلَهَ، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

وَلَكِنْ هَكَذَا هُمْ، مَا لَنَا وَلَهُمْ؟!!

لَنَا دِينُنَا، وَلَنَا نَبْعُنَا الصَّافِي، وَلَنَا نَبِيُّنَا ﷺ، وَاللهِ! إِنَّهُ لَعَيْبٌ كَبِيرٌ أَنْ تَكُونَ مَدْعُوًّا إِلَىٰ الْبَاطِلِ وَالْخَنَا وَالشَّرِّ -بَلْ وَإِلَىٰ الْإِلْحَادِ وَالْكُفْرِ- وَأَنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تُدْعَىٰ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ إِلَىٰ الْبَاطِلِ، وَالْوَاجِبُ أَنْ تَكُونَ هِيَ دَاعِيَةً لِلْحَقِّ!!

كَيْفَ تَبَدَّلَتِ الْأَطْوَارُ، وَاخْتَلَفَتِ الْأَحْوَالُ، وَانْعَكَسَتِ الْأُمُورُ؟!!

أَيُّ شَيْطَانٍ يُمْسِكُ بِزِمَامِ الْبَشَرِيَّةِ يُصَرِّفُهَا فِي كُلِّ مَتَاهَةٍ، وَيَمُرُّ بِهَا عَلَىٰ كُلِّ جِيفَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ؟!!

وَأَتْبَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ هُمْ مَنْ يَمْلِكُونَ زِمَامَ الْفَضِيلَةِ؛ إِذْ دِينُهُمْ دِينُ الْفَضِيلَةِ.

فَمَا أَعْظَمَ جُرْمَهُمْ فِي حَقِّ الْآخَرِينَ؛ إِذْ يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْ تَكُونَ قُدْوَةً سُلُوكِيَّةً تُتَرْجِمُ التَّعَالِيمَ، لَا أَنْ تَكُونَ آتِيًا بِكَلَامٍ لَا رَصِيدَ لَهُ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فِي حَقِّ الرُّوحِ، فَهَذَا لَا يَخْدَعُ إِلَّا الْأَغْرَارَ الْمَسَاكِينَ، ثُمَّ يَزُولُ الْخِدَاعُ بَعْدَ حِينٍ.

وَإِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ يَكُونَ لِكَلَامِكَ رَصِيدٌ لِبَعْثِ الْأُمَّةِ مِنْ رُقَادِهَا، وَلِإِيقَاظِهَا مِنْ سُبَاتِهَا، وَلِتَنْبِيهِهَا مِنْ غَفْلَتِهَا؛ فَهِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، هِيَ أُمَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخَاتَمِ الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ عِنْدَ اللهِ، وَنَبِيُّهَا أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَىٰ اللهِ، وَهِيَ أَعْظَمُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَىٰ حَوْضِهِ كَثْرَةً وَعَدَدًا؛ وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضُهُ.

هُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَأَيْنَ قِيَادَةُ الْأُمَّةِ لِلْبَشَرِيَّةِ؟!!

تَنَازَعَتِ الْمُسْلِمِينَ الْأَهْوَاءُ، وَالْأَصْلُ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الْوَظِيفَةَ، وَيَأْتُونَ بِهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا؛ أَنَّ اللهَ ابْتَعَثَهُمْ لِيُخْرِجُوا الْعِبَادَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَىٰ عَدْلِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَىٰ سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

تَرَكُوا هَذَا -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ-، وَأَقْبَلُوا عَلَىٰ الْمَتَاعِ، وَالْأُمَمُ الْأُخْرَىٰ تَقُولُ: تُنَازِعُونَنَا فِي أُمُورِ الدُّنْيَا، وَلَا تَلْتَزِمُونَ بِمَا تَقُولُونَ إِنَّهُ دِينُكُمْ؛ فَنَحْنُ أَفْضَلُ مِنْكُمْ؛ إِذْ لَمْ نَدَّعِ شَيْئًا، وَأَقْبَلْنَا عَلَىٰ الْحَيَاةِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ مَا لَا

تَفْعَلُونَ، وَتَفْعَلُونَ مَا لَا تَعْتَقِدُونَ؛ فَأَيُّ شَيْءٍ أَنْتُمْ؟ وَكَيْفَ تَقُومُ الْحُجَّةُ عَلَىٰ النَّاسِ حِينَئِذٍ؟!!

إِنَّ الصَّحَابَةَ ﷺ جَعَلُوا الدُّنْيَا دَبْرَ الْآذَانِ وَتَحْتَ مَوَاطِئِ الْأَقْدَامِ، وَحَمَلُوا دِينَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْآفَاقِ؛ حَتَّىٰ دَانَتِ الدُّنْيَا بِـ(**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**).

دِينُكُمْ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- احْرِصُوا عَلَيْهِ، وَاحْذَرُوا انْهِيَارَ الْأَخْلَاقِ فِي الْمُجْتَمَعِ؛ فَإِنَّهُ مُنْذِرٌ بِكُلِّ شَرٍّ، يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ أَوَّلَ مَا يَتَرَتَّبُ.. الْفَوْضَىٰ، تَعُمُّ دِيَارَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُ لَا ضَابِطَ وَلَا رَادِعَ وَلَا رَقِيبَ، وَإِنَّمَا انْفِلَاتٌ أَخْلَاقِيٌّ عَامٌّ، وَانْحِدَارٌ وَانْهِيَارٌ أَخْلَاقِيٌّ لَا يَتَمَاسَكُ مَعَهُ أَحَدٌ.

هَذَا خَطِيرٌ مِنْ أَخْطَرِ مَا يَكُونُ عَلَىٰ الْمُجْتَمَعِ وَعَلَىٰ الْأُمَّةِ!

فَعَلَيْنَا أَنْ نَجْتَهِدَ، أَنْ نَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْ نَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ نَكُونَ فِي خَاصَّةِ أَنْفُسِنَا مُؤْتَمِرِينَ مُنْتَهِينَ، وَأَنْ نَنْشُرَ الْخَيْرَ، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي تَقْلِيلِ الشَّرِّ، وَأَنْ نَدْعُوَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِالصَّلَاحِ لَنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ؛ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الِانْهِيَارُ الْأَخْلَاقِيُّ» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٢٩هـ| ٣-١٠-٢٠٠٨م.

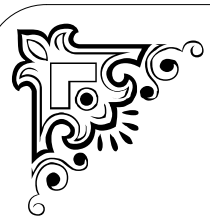

كَيْفَ نَسْتَعِيدُ قِيَمَنَا وَأَخْلَاقَنَا الْجَمِيلَةَ؟!!

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ مِنْ سُبُلِ اسْتِعَادَةِ قِيَمِنَا وَأَخْلَاقِنَا الْجَمِيلَةِ: التَّمَسُّكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا، كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي**»(١). (*).

---

(١) ذكره مالك بلاغا في «**الموطأ**» رواية يحيىٰ: (٢/ ٨٩٩، رقم ٣)، وأخرجه موصولا ابن أبي عاصم في «**السنة**»: (٢/ ٦٤٤، رقم ١٥٥٧)، والمروزي في «**السنة**»: (ص٢٥-٢٦، رقم ٦٨)، والعقيلي في «**الضعفاء**»: (٢/ ٢٥٠، ترجمة عَبْدُ اللهِ بْنُ دَاهِرٍ)، والآجري في «**الشريعة**»: (٥/ ٢٢٢٠-٢٢٢١، رقم ١٧٠٥)، والحاكم: (١/ ٩٣، رقم ٣١٨)، والبيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: (١٠/ ١١٤)، من حديث: ابنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما.

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (١/ ١٢٤-١٢٥، رقم ٤٠)، وله شاهد من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

وبنحوه في «**صحيح مسلم**»: (٢/ ٨٨٦-٨٩٠، رقم ١٢١٨) من رواية جابر رضي الله عنه، بدون ذكر السنة، بلفظ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ**»، وزاد الترمذي في «**الجامع**»: (٥/ ٦٦٢، رقم ٣٧٨٦): «...، **وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «كَفَىٰ غِشًّا لِلْمُسْلِمِينَ!» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٢٧هـ| ٢٤-١١-٢٠٠٦م.

«لَقَدْ وَصَفَ اللهُ كِتَابَهُ بِأَوْصَافٍ جَلِيلَةٍ عَظِيمَةٍ تَنْطَبِقُ عَلَىٰ جَمِيعِهِ، وَتَدُلُّ أَكْبَرَ دَلَالَةٍ عَلَىٰ أَنَّهُ الْأَصْلُ وَالْأَسَاسُ لِجَمِيعِ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْفُنُونِ الْمُرْشِدَةِ لِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَصَفَهُ بِالْهُدَىٰ وَالرُّشْدِ، وَالْفُرْقَانِ، وَأَنَّهُ مُبِينٌ وَتِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ؛ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ هُدًىٰ، وَيَهْدِي الْخَلْقَ لِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُونَهُ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَىٰ كُلِّ طَرِيقٍ نَافِعٍ، وَيُفَرِّقُ لَهُمْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَبَيْنَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ بِذِكْرِ أَوْصَافِ الْفَرِيقَيْنِ.

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابُ تَعْلِيمٍ يُزِيلُ الْجَهَالَاتِ الْمُتَنَوِّعَةَ، وَكِتَابُ تَرْبِيَةٍ يُقَوِّمُ الْأَخْلَاقَ وَالْأَعْمَالَ، فَهُوَ يُعَلِّمُ، وَيُقَوِّمُ، وَيُهَذِّبُ، وَيُؤَدِّبُ بِأَعْلَىٰ مَا يَكُونُ مِنَ الطُّرُقِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ لِلْحُكَمَاءِ وَالْعُقَلَاءِ أَنْ يَقْتَرِحُوا مِثْلَهَا، وَلَا مَا يُقَارِبُهَا»(١). (*).

إِنَّ كِتَابَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ الْأَمْرُ بِالتَّقْوَىٰ، وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الرَّذَائِلِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ الْفَضَائِلِ، وَفِيهِ التَّخْوِيفُ بِالنَّارِ، وَالتَّرْغِيبُ فِي الْجَنَّةِ، وَفِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْهَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ، فَهَذَا عَطَاءُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهُ أَوْ تَلَاهُ. (*/٢).

---

(١) مختصر من: «**تَيْسِيرُ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ**»: (ص٤ - ٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ)، الْأَحَدُ ١٦ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ٢٢-٩-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ؟» (الْمُحَاضَرَةُ الْعَاشِرَةُ)، الْأَرْبِعَاءُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨هـ| ١٤-٦-٢٠١٧م.

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْقَرِيبَ مِنْكُمْ، الَّذِي يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ لَهُ وَظَائِفُ كُبْرَىٰ؛ مِنْهَا: أَنَّهُ يَدُلُّ وَيُرْشِدُ إِلَىٰ الطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَىٰ الِاعْتِدَالِ الْكَامِلِ فِي كُلِّ سُلُوكٍ بَشَرِيٍّ، وَيُبَشِّرُ الْقُرْآنُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا صَحِيحًا صَادِقًا الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ بِأَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا يَنَالُونَهُ فِي الْجَنَّةِ.(*).

وَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ جَامِعَةٌ لِمَعَانِي حُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ، وَمَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ سُلُوكُهُ فِي مُعَامَلَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ.(*/٢).

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كِتَابُ تَعْلِيمٍ وَإِرْشَادٍ، وَكِتَابُ تَرْبِيَةٍ عَلَىٰ أَكْمَلِ الْأَخْلَاقِ، وَأَحْسَنِ الْآدَابِ، وَأَسْمَىٰ الْأَوْصَافِ، وَحَثَّ عَلَيْهَا بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، وَزَجَرَ عَنْ ضِدِّهَا.

وَلَا يُوجَدُ خُلُقٌ كَامِلٌ إِلَّا وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَلَا أَدَبٌ حَمِيدٌ إِلَّا وَقَدْ دَعَا إِلَيْهِ وَبَيَّنَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الإسراء: ٩].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ)، الْخَمِيسُ ٢٠ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ٢٦-٩-٢٠١٣م.

وَالْأَخْلَاقُ الْكَامِلَةُ وَالْآدَابُ السَّامِيَةُ تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مُسْتَقِيمَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، مُعْتَدِلَ الْأَحْوَالِ، مُكْتَمِلَ الْأَوْصَافِ الْحَسَنَةِ، طَاهِرَ الْقَلْبِ نَقِيَّهُ مِنْ كُلِّ دَرَنٍ وَآفَةٍ وَنَقْصٍ، قَوِيَّ الْقَلْبِ، مُتَوَجِّهًا قَلْبُهُ إِلَىٰ أَعْلَىٰ الْأُمُورِ وَأَنْفَعِهَا، قَائِمًا بِالْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ، مَحْمُودًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ، قَدْ حَازَ الشَّرف وَالِاعْتِبَارَ الْحَقِيقِيَّ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَآفَةٍ، قَدْ تَوَاطَأَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ عَلَىٰ الِاسْتِقَامَةِ، وَسُلُوكِ طَرِيقِ الْفَلَاحِ.

وَعُلُوُّ مَكَانَةِ الْمُتَخَلِّقِ بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ وَآدَابِهِ لَا يَمْتَرِي فِيهِ مَنْ لَهُ أَدْنَىٰ مُسْكَةٍ مِنْ عَقْلٍ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ مِنْ أَكْبَرِ الشَّوَاهِدِ عَلَىٰ حُسْنِ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ.

وَلِهَذَا يُنَبِّهُ اللهُ أُولِي الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ، وَيُوَجِّهُ إِلَيْهِمُ الْخِطَابَ؛ لِأَنَّه كُلَّمَا كَمُلَ عَقْلُ الْإِنْسَانِ؛ عَرَفَ كَمَالَ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ وُجُودُ قَانُونٍ أَوْ نِظَامٍ أَوْ غَيْرِهِمَا يُقَارِبُ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ كَمَالًا وَفَضْلًا، وَرِفْعَةً وَعُلُوًّا وَنَزَاهَةً، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِتَتَبُّعِ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ.(*).

عِبَادَ اللهِ! النَّبِيُّ ﷺ أَرْسَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِكُلِّ مَا يَنْفَعُنَا؛ يَأْمُرُنَا بِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأُمُورِ الدِّينِ.

وَأَرْسَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُحَذِّرًا وَمُنْذِرًا مِنَ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَمِنَ اتِّخَاذِ سُبُلِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مَنْهَجًا وَطَرِيقًا وَسَبِيلًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ فَتْحِ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ)، الْأَحَدُ ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٤هـ| ٤-٨-٢٠١٣م.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا فِيهِ سَعَادَةُ الْعَبْدِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ.

فَقَدْ قِيلَ لِسَلْمَانَ -قَالَ لَهُ حَبْرٌ يَهُودِيٌّ-: عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الْخِرَاءَةَ -يَعْنِي: حَتَّىٰ كَيْفَ يَقْضِي الْإِنْسَانُ حَاجَتَهُ-؟!!

قَالَ: «**نَعَمْ، أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَلَّا نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ وَلَا نَسْتَدْبِرَهَا** -يَعْنِي: عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ-، **وَأَلَّا نَسْتَجْمِرَ بِعَظْمٍ، وَلَا بِرَجِيعٍ**»(١).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَقْضِي الإِنْسَانُ حَاجَتَه، أَفَيُبَيِّنُ هَذَا وَيَتْرُكُ مَا هُوَ فَوْقَهُ مِنْ أُمُورِ الِاعْتِقَادِ، وَمِنْ أُمُورِ الْعِبَادَةِ، وَمِنْ أُمُورِ الْمُعَامَلَةِ، وَمِنْ أُمُورِ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ؟!!

هَذَا مِمَّا لَا يَقْبَلُهُ عَقْلٌ!!

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْفَعُنَا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَكُلَّمَا اسْتَكْثَرَ الْمَرْءُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ؛ زَادَ فَلَاحُهُ وَقَلَّ طَلَاحُهُ، وَازْدَادَ خَيْرُهُ وَانْتَفَىٰ شَرُّهُ.

وَهَذَا كَمَا يَكُونُ كَذَلِكَ؛ فَعَكْسُهُ عَلَىٰ عَكْسِهِ وَضِدِّهِ!!(*).

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٢٢٣، رقم (٢٦٢)، من حديث: سَلْمَانَ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الْخِرَاءَةَ، قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ «**لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مَا مَرَّ ذِكْرُهُ: «عِيشُوا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ» - الْخَمِيسُ ٢٣ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٨ هـ| ٢٢- ١٢- ٢٠١٦ م.

إِنَّ الله جَلَّوَعَلَا جَعَلَ النَّجَاةَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُمَا مَعْدِنُ الْعِلْمِ وَأَصْلُهُ، فَمَهْمَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَتَنَكَّبَهُمَا وَاسْتَدْبَرَهُمَا، وَجَعَلَهُمَا دَبْرَ أُذُنَيْهِ وَخَلْفَ ظَهْرِهِ؛ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا.

فَمَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ حَقًّا وَصِدْقًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي تَمُوجُ بِالْفِتَنِ مَوْجَ الْبَحْرِ، وَهِيَ تَتَلَاطَمُ بِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ؛ فَتَسَنَّمُوا كُلَّ ذِرْوَةٍ، وَعَلَوْا كُلَّ مِنْبَرٍ، وَصَارَ صَوْتُهُمْ عَالِيًا قَوِيًّا، وَإِنَّمَا هُمْ فِي النِّهَايَةِ غُثَاءٌ، مَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ وَالْحَالَ هَذِهِ؛ فَعَلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.(*).

وَمِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ اسْتِعَادَةِ قِيَمِنَا السَّامِيَةِ وَأَخْلَاقِنَا النَّبِيلَةِ الْعَالِيَةِ: الِاقْتِدَاءُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ فَالْأَنْبِيَاءُ أَحْسَنُ النَّاسِ أَخْلَاقًا، وَأَسْمَاهُمْ نُفُوسًا، وَحَيَاتُهُمْ هِيَ الْأُسْوَةُ، وَأَفْعَالُهُمُ الْقُدْوَةُ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- فِي أَقْوَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَفْعَالِهِ، وَأَخْلَاقِهِ، وَثِقَتِهِ بِاللهِ، وَثَبَاتِهِ فِي الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ، وَصَبْرِهِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَقِتَالِهِ بِنَفْسِهِ، وَكُلِّ جُزْئِيَّاتِ سُلُوكِهِ فِي الْحَيَاةِ.. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِ قُدْوَةٌ صَالِحَةٌ، وَخَصْلَةٌ حَسَنَةٌ مِنْ حَقِّهَا أَنْ يُؤْتَسَىٰ وَيُقْتَدَىٰ بِهَا لِمَنْ كَانَ يُؤَمِّلُ مُرْتَقِبًا ثَوَابَ اللهِ، وَيَرْجُو السَّعَادَةَ الْخَالِدَةَ يَوْمَ الدِّينِ، وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ الْمَوَاطِنِ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ»(٢).(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حَيْثُ وَقَعَ نَفَعَ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٤هـ| ١٦-١١-٢٠١٢م.

(٢) «المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين»: (ص٤٢٠).

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الأحزاب: ٢١].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

«أُولَئِكَ النَّبِيُّونَ هُمُ الْمَخْصُوصُونَ بِالْهِدَايَةِ؛ فَاتَّبِعْ يَا رَسُولَ اللهِ هُدَاهُمْ، وَاسْلُكْ سَبِيلَهُمْ»(١). (*).

*** وَمِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ اسْتِعَادَةِ قِيَمِنَا الْجَمِيلَةِ وَأَخْلَاقِنَا النَّبِيلَةِ: النَّظَرُ فِي سِيَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ فِي عَقَائِدِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ؛ فَمِنَ الدُّرُوسِ الْعَظِيمَةِ الْمُهِمَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ تَتَبُّعِ سِيَرِ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْعَفْوُ، وَطَهَارَةُ الْقَلْبِ وَعِفَّةُ اللِّسَانِ؛** فَالْأَخْلَاقُ الْحَسَنَةُ مِنَ الْمُقَدَّمِ فِي الدِّينِ تَجْذِبُ النَّاسَ إِلَىٰ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتُرَغِّبُهُمْ فِيهِ، مَعَ مَا لِصَاحِبِهِ مِنَ الْمَدْحِ وَالثَّوَابِ الْخَاصِّ، وَالْأَخْلَاقُ السَّيِّئَةُ مِنَ الْمُقَدَّمِ فِي الدِّينِ تُنَفِّرُ النَّاسَ عَنِ الدِّينِ، وَتُبَغِّضُهُمْ إِلَيْهِ، مَعَ مَا لِصَاحِبِهَا مِنَ الذَّمِّ وَالْعِقَابِ الْخَاصِّ.(*/٢).

وَهَذِهِ صُوَرٌ مُضِيئَةٌ مِنْ حُسْنِ خُلُقِ وَعَفْوِ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ؛ فَقَدْ شَتَمَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «يَا هَذَا! إِنِّي قَدْ أَمَتُّ مُشَاتَمَةَ الرِّجَالِ صَغِيرًا فَلَنْ أُحْيِيَهَا كَبِيرًا، وَأَنَا لَا أُكَافِئُ مَنْ عَصَىٰ اللهَ فِيَّ بِأَكْثَرَ مِنْ أَنْ أُطِيعَ اللهَ فِيهِ»(٤).

---

(١) «**المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**»: (ص١٣٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الأنعام: ٩٠].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «التَّسَامُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٨هـ| ١٠-٣-٢٠١٧م.

(٤) أخرجه البُرْجُلاني في «**الكرم والجود**»: (ص ٤٦، رقم ٣٥)، وابن قتيبة في «**عيون الأخبار**»: (١/ ٣٩٩)، وأبو عروبة الحراني في «**جزء له**» رواية الأنطاكي: (ص ١٩، =

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **فَقَالَ**: «إِنَّ فُلَانًا شَتَمَكَ.

فَقَالَ: اذْهَبْ بِنَا إِلَيْهِ.

فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَتَّىٰ صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَالرَّجُلُ الَّذِي نَقَلَ يَظُنُّ أَنَّهُ مَا ذَهَبَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ الْمُعَاقَبَةِ، فَلَمَّا صَارَ عِنْدَهُ، أَقْبَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ فَقَالَ: «يَا أَخِي! إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَرَ اللهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللهُ لَكَ»(١).

=

رقم ١٨)، والدينوري في «**المجالسة**»: (٤/ ٤٠٧ - ٤٠٨، رقم ١٦٠٢)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٥/ ١١٣)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (١٠/ ٤٢١ - ٤٢٢، رقم ٧٧٣٠) و (١١/ ٣٠ - ٣١، رقم ٨١٠٦)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**»: (١١/ ١٨٧ - ١٨٨، ترجمة ابن عياش)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٤٥/ ٢٧ - ٢٨، ترجمة عمر بن ذر)، وهو صحيح عنه.

وروي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بنحوه.

(١) أخرجه ابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٤١/ ٣٩٥، ترجمة علي بن الحسين)، بإسناده، عن أبي يعقوب المدني، قال:

«كان بين الحسن بن الحسن وبين علي بن الحسين بعض الأمر، فجاء حسن بن حسن إلىٰ علي بن حسين وهو مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئا إلا قاله له، قال: وعلي ساكت، فانصرف حسن، فلما كان الليل أتاه في منزله، فقرع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له علي: «يا أخي! إن كنت صادقا فيما قلت لي يغفر الله لي، وإن كنت كاذبا يغفر الله لك، السلام عليكم»، وولىٰ.

قال: فاتبعه حسن فلحقه، فالتزمه من خلفه وبكىٰ حتىٰ رثىٰ له، ثم قال: «لا جرم لا عدت في أمر تكرهه»، فقال علي: «وأنت في حل مما قلت لي».

وبهذا المعنىٰ فُسّر قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو

=

وَهَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا تَغِيبُ عَنْهُ أَسْبَابُ انْفِعَالِهِ حَالَ انْفِعَالِهِ لَحْظَةً وَاحِدَةً فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ وَهُوَ فِيهِ رَأْسٌ، عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيُّ يُسْأَلُ فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ سُؤَالًا، وَوَرَدَتِ الْمَسْأَلَةُ، فَأَخْطَأَ حِينَ الْجَوَابِ، وَغَلِطَ فِي الْإِجَابَةِ، فَكَانَ مَاذَا؟!!

لَا شَيْءَ، وَمَنِ الَّذِي لَا يَغْلَطُ خَطَأَ الْمَسْأَلَةِ بَعْدَ الْمَسْأَلَةِ لَا يُدْرِكُ فِيهَا صَوَابًا، وَلَا يَفْتَحُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ الْإِجَابَةِ فِيهَا بَابًا؟!!

فَكَانَ مَاذَا؟!!

لَا شَيْءَ.

فَلَمَّا بُيِّنَ لَهُ غَلَطُهُ؛ نَكَّسَ رَأْسَهُ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «إِذَنْ؛ أَعُودُ إِلَىٰ الْحَقِّ وَأَنَا صَاغِرٌ، وَلَأَنْ أَكُونَ ذَنَبًا فِي الْحَقِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ رَأْسًا فِي الْبَاطِلِ»(١).(*).

=

حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤- ٣٥]، وروي عن عامر الشعبي نحوه.

(١) أخرجه محمد بن خلف الملقب بوكيع في «**أخبار القضاة**»: (٢/ ٩٠)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٩/ ٥ – ٦ و ٤١)، وابن عبد البر في «**جامع بيان العلم وفضله**»: (١/ ٥٣٤، رقم ٨٧٧)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**»: ترجمة عبيد الله بن الحسن العنبري، (١٢/ ٩)، وأبو الحسين الصيرفي كما في «**الطيوريات**» انتخاب السِّلَفي: (٢/ ٣٠٥، رقم ٢٤٧)، وابن الجوزي في «**المنتظم**»: ترجمة عبيد الله العنبري، (٨/ ٢٩٨)، بإسناد صحيح.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مَقْطَعٌ بِعُنْوَانِ: «حُسْنُ الْخُلُقِ وَخُطُورَةُ الْكَلِمَةِ» مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقَوْلُ الْمُبِينُ».

*** وَمِنْ أَهَمِّ السُّبُلِ لِاسْتِعَادَةِ قِيَمِ أُمَّتِنَا النَّبِيلَةِ وَمُثُلِهَا الرَّفِيعَةِ وَأَخْلَاقِهَا السَّامِيَةِ الْعَالِيَةِ: غَرْسُ هَذِهِ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ فِي نُفُوسِ الشَّبَابِ؛ فَهُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ، وَقَلْبُهَا النَّابِضُ، وَأَمَلُهَا فِي مُسْتَقْبَلٍ مُشْرِقٍ، وَلَقَدْ حَكَى لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَا كَانَ مِنْ لُقْمَانَ مَعَ ابْنِهِ؛ حَيْثُ غَرَسَ فِيهِ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ وَالْجَوَانِبَ الْأَخْلَاقِيَّةَ السَّدِيدَةَ، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-:** ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٣-١٦].

﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٧-١٩].

يَا بُنَيَّ الْقَرِيبَ مِنْ قَلْبِي، وَالْحَبِيبَ لِي! إِنِّي أُوصِيكَ بِهَذِهِ الْوَصَايَا الثَّمَانِيَةِ بَعْدَ أَنْ أَوْصَيْتُكَ بِعَهْدٍ مُؤَكَّدٍ مُشَدَّدٍ أَلَّا تُشْرِكْ بِاللهِ:

*** الْوَصِيَّةُ الْأُولَىٰ:** أَدِّ الصَّلَاةَ تَامَّةً بِأَرْكَانِهَا، وَشُرُوطِهَا، وَوَاجِبَاتِهَا.

*** الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَةُ:** وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي يَعْرِفُهُ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ.

* **الْوَصِيَّةُ الثَّالِثَةُ**: انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ الَّذِي يُنْكِرُهُ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ.

* **الْوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ**: وَسَيُصِيبُكَ أَذًى مِنَ الَّذِينَ تَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ، إِنَّ ذَلِكَ الصَّبْرَ عَلَىٰ مَا يُصِيبُ الْقَائِمَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ يَحْتَاجُ إِرَادَةً قَوِيَّةً رَفِيعَةً هِيَ مِنْ مُسْتَوَىٰ الْعَزْمِ الَّذِي يَدْفَعُ أَصْحَابَهُ إِلَىٰ تَنْفِيذِ مَا يُرِيدُونَ مِمَّا يُرْضِي اللهَ جَلَّوَعَلَا؛ وَلَوِ اقْتَرَنَ بِهِ تَحَمُّلُ أَشَدِّ الصُّعُوبَاتِ، وَتَحَمُّلُ أَعْظَمِ الْآلَامِ.

* **الْوَصِيَّةُ الْخَامِسَةُ**: وَلَا تَتَكَبَّرْ؛ فَتَحْقِرَ النَّاسَ، وَتُعْرِضَ بِوَجْهِكَ عَنْهُمْ إِذَا كَلَّمُوكَ كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْكِبْرِ.

* **الْوَصِيَّةُ السَّادِسَةُ**: وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مُخْتَالًا مُتَبَخْتِرًا فِي مِشْيَتِكَ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فِي مَشْيِهِ، مُسْتَكْبِرٍ عَلَىٰ النَّاسِ بِإِعْرَاضِهِ عَنْهُمْ، مُبَالِغٍ فِي الْفَخْرِ عَلَىٰ النَّاسِ بِنَفْسِهِ، أَوْ بِمَا آتَاهُ اللهُ مِنْ قُوَّةٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ نَسَبٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ ذَكَاءٍ، أَوْ جَمَالِ وَجْهٍ وَحُسْنِ طَلْعَةٍ.

وَمَنْ لَا يُحِبُّهُ اللهُ؛ فَإِنَّهُ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِعِقَابِهِ.

* **الْوَصِيَّةُ السَّابِعَةُ**: وَلْتَكُنْ فِي مِشْيَتِكَ مُتَوَسِّطًا بَيْنَ الْإِسْرَاعِ وَالتَّأَنِّي فِي سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ.

* **الْوَصِيَّةُ الثَّامِنَةُ**: وَاخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ بِقَدْرِ حَاجَةِ الْمُسْتَمِعِينَ، إِنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ دُونَ حَاجَةٍ إِلَىٰ رَفْعِهِ مِنْ صِفَاتِ الْحَمِيرِ، فَلَا تَكُنْ يَا بُنَيَّ مُتَّصِفًا بِصِفَةٍ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْحَمِيرِ الَّتِي تَنْهَقُ فَتَرْفَعُ أَصْوَاتَهَا الْمُنْكَرَةِ، إِنَّ أَقْبَحَ الْأَصْوَاتِ وَأَكْثَرَهَا تَنْفِيرًا لِلْأَسْمَاعِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ.

يَا بُنَيَّ! إِنَّ السَّيِّئَةَ أَوِ الْحَسَنَةَ مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةً مِثْلَ وَزْنِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، وَكَانَتْ فِي بَطْنِ صَخْرَةٍ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا أَحَدٌ، أَوْ كَانَتْ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ؛ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِي الْعَبْدَ عَلَيْهَا.

إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، خَبِيرٌ بِهِمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ.

يَا بُنَيَّ! أَقِمِ الصَّلَاةَ بِأَدَائِهَا عَلَىٰ أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا نَالَكَ مِنْ مَكْرُوهٍ فِي ذَلِكَ، إِنَّ مَا أَمَرْتَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا عَزَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَهُ؛ فَلَا خِيرَةَ لَكَ فِيهِ.

وَلَا تُعْرِضْ بِوَجْهِكَ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّرًا، وَلَا تَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ مُخْتَالًا مُتَكَبِّرًا، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فِي مِشْيَتِهِ، فَخُورٍ بِمَا أُوتِيَ مِنْ نِعَمٍ لَا يَشْكُرُ اللهَ عَلَيْهَا، بَلْ يُبْغِضُهُ.

وَتَوَسَّطْ فِي مَشْيِكَ بَيْنَ الْإِسْرَاعِ وَالدَّبِيبِ، مَشْيًا يُظْهِرُ الْوَقَارَ.

وَاخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ، لَا تَرْفَعْهُ رَفْعًا يُؤْذِي، إِنَّ أَقْبَحَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ فِي ارْتِفَاعِ أَصْوَاتِهَا.

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الْآيَاتِ: وُجُوبُ تَعَاهُدِ الْأَبْنَاءِ بِالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَالنَّصِيحَةِ وَالتَّوْجِيهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [لقمان: ١٢ - ١٩].

عِبَادَ اللهِ! عَلَى كُلٍّ مِنَّا أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ، وَأَنْ يَكُونَ قُدْوَةً فِي أَخْلَاقِهِ وَسُلُوكِهِ حَيْثُ حَلَّ وَحَيْثُ ارْتَحَلَ وَحَيْثُ كَانَ وَحَيْثُ أَقَامَ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْظَمَ الْخَلْقِ اتِّبَاعًا لِأَمْرِ رَبِّهِ، وَاجْتِنَابًا لِنَهْيِهِ، وَقَدْ كَانَ ﷺ يُجَسِّدُ الدِّينَ تَجْسِيدًا، فَمَا أَمَرَ بِشَيْءٍ إِلَّا وَكَانَ أَوَّلَ النَّاسِ إِتْيَانًا لَهُ، وَلَا نَهَىٰ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ النَّاسِ انْتِهَاءً عَنْهُ، وَأَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ، فَصَلَّىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

وَالنَّاسُ إِلَىٰ الِاقْتِدَاءِ بِالْعَمَلِ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَىٰ اسْتِمَاعِ الْقَوْلِ، وَقَدِيمًا قِيلَ: فِعْلُ رَجُلٍ أَنْفَعُ لِأَلْفِ رَجُلٍ مِنْ كَلَامِ أَلْفِ رَجُلٍ لِرَجُلٍ؛ فَالدَّلِيلُ بِالْفِعْلِ أَرْشَدُ مِنَ الدَّلِيلِ بِالْقَوْلِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «فَضْلُ الْعِلْمِ» (ص: ٦١٨-٦١٩) - لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

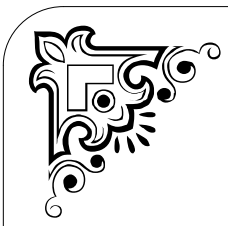

كُنْ مُسْلِمًا بِحَقٍّ!

إِنَّ مَا نُحَاوِلُ وَإِنَّ مَا نُعَالِجُهُ وَنُزَاوِلُهُ شَيْءٌ يَبْدُو يَسِيرًا؛ وَلَكِنَّهُ عِنْدَ اللهِ كَبِيرٌ؛ نُرِيدُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ مُسْلِمًا.. أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ مُسْلِمًا، لَا شِبْهَ مُسْلِمٍ، وَلَا بَعْضَهُ، وَإِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ مُسْلِمًا.

وَيَاللهِ الْعَجَبُ! هَلْ تَحْتَاجُ هَذِهِ إِلَىٰ مُعَالَجَةٍ وَمُزَاوَلَةٍ وَمُدَاوَلَةٍ وَجَهْدٍ؟!!

الْأَصْلُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ مُسْلِمًا، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».

نَعَمْ!!

نُرِيدُ أَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْأَيْدِي وَالْأَلْسِنَةِ؛ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُسْلِمِينَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ.

وَأَدُلُّكَ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ: أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عِنْدَمَا تَزُورُ مَرِيضًا وَتَصْحَبُهُ إِلَىٰ طَبِيبٍ؛ تَجِدُ الطَّبِيبَ يَكَادُ يَذُوبُ رِقَّةً وَأَدَبًا، وَقَدْ يَكُونُ أَسْفَلَ خَلْقِ اللهِ سَفَالَةً، وَعِنْدَمَا تَقْصِدُ مَعَ صَاحِبِ حَاجَةٍ إِلَىٰ مُحَامٍ أَوْ مُهَنْدِسٍ أَوْ مَا شِئْتَ مِنْ أَمْثَالِ تِلْكَ الْمِهَنِ؛ تَجِدُ أَخْلَاقًا سَامِيَاتٍ، وَتَجِدُ خِلَالًا عَالِيَاتٍ، وَتَجِدُ مُقَابَلَةً تَقُولُ: هِيَ الْإِسْلَامُ بِعَيْنِهِ فِي آدَابِهِ وَمُثُلِهِ وَأَخْلَاقِهِ.

وَالْحَقُّ أَنَّ هَذِهِ أَخْلَاقٌ مِهَنِيَّةٌ، وَيَبْرَعُ فِيهَا مِمَّنْ هُمْ كُفَّارٌ غَيْرُ مُنْتَمِينَ إِلَىٰ الْمِلَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَبْرَعُ فِيهَا الَّذِينَ يَنْتَمُونَ إِلَىٰ الْمِلَّةِ، أَخْلَاقٌ مِهَنِيَّةٌ، أَخْلَاقُ الْمِهْنَةِ مِنْ أَجْلِ كَسْبِ الزَّبَائِنِ، وَمِنْ أَجْلِ اسْتِجْلَابِ الْعُمَلَاءِ، يَلْقَاكَ وَهُوَ أَسْفَلُ خَلْقِ اللهِ سَفَالَةً بِالْبِشْرِ كُلِّهِ، وَيَلْقَاكَ بِالْوَدَاعَةِ جَمِيعِهَا، وَبِالتَّحَمُّلِ كُلِّهِ، أَخْلَاقُ مِهْنَةٍ.. أَخْلَاقٌ مِهَنِيَّةٌ.

وَأَمَّا أَخْلَاقُ الدِّينِ الْحَنِيفِ؛ فَتَصْدُرُ مِنَ الْقَلْبِ، وَلَا تَصْدُرُ مِنَ الْجَوَارِحِ وَلَا مِنَ اللِّسَانِ.

أَمَّا إِنْ صَدَرَتْ مِنَ اللِّسَانِ بِغَيْرِ رَصِيدٍ؛ فَهِيَ أَخْلَاقُ مِهْنَةٍ لَا تَعْدُو قَدْرَهَا، وَهِيَ مُلْحَقَةٌ بِسِجِلِّ النِّفَاقِ.

فَانْظُرْ إِلَىٰ هَذَا الْفَارِقِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الدَّوَافِعِ، وَتَأَمَّلْ فِي هَذَا الْخَلَلِ الْقَائِمِ فِي دُنْيَا النَّاسِ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

وَثَانِيَةٌ هِيَ أُخْتُهَا، لَاحِقَةٌ بِهَا، دَائِرَةٌ فِي فَلَكِهَا، لَا عَنْهَا تَحُولُ، وَلَا مِنْهَا تَنْفَكُّ، وَلَا عَنْهَا تَزُولُ؛ مَا هِيَ؟!!

قَدِيمًا طَلَبْنَا مِنْ إِخْوَانِنَا أَنْ يَأْتِيَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِوَرَقَةٍ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، ثُمَّ لِيَقْسِمْهَا رَأْسِيًّا قِسْمَيْنِ، ثُمَّ فَلْيَأْتِ إِلَىٰ الْقِسْمِ الْأَيْمَنِ فَلْيَكْتُبْ فِي رَأْسِهِ الْفَضَائِلَ، ثُمَّ فَلْيَأْتِ إِلَىٰ الْقِسْمِ الْأَيْسَرِ فَلْيَكْتُبْ فِي رَأْسِهِ الرَّذَائِلَ، ثُمَّ فَلْيَخْلُ بِرَبِّهِ، فَلْيَخْلُ بِرَبِّهِ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الْخَلْقِ أَحَدٌ، ثُمَّ فَلْيُعَدِّدْ فَضَائِلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، ثُمَّ إِذَا مَا فَرَغَ -وَأَحْسَبُهُ لَنْ يُلَبِّثَ إِلَّا يَسِيرًا، إِنْ كَتَبَ شَيْئًا- ثُمَّ إِذَا

مَا فَرَغَ فَلْيُعَوِّلْ عَلَىٰ الْقِسْمِ الْآخَرِ، وَلْيُعَدِّدْ فِيهِ كِتَابَةً وَتَحْرِيرًا رَذَائِلَهُ وَمَسَاوِيَهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ!!

حَرِيٌّ بِمَنْ صَنَعَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ نَفْسِهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ.

حَرِيٌّ بِمَنْ صَنَعَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِضَمِيرِهِ، عَالِمًا بِنَفْسِهِ، عَالِمًا بِذَاتِهِ غَيْرَ مُخَادِعٍ لِنَفْسِهِ، وَلَا لِذَاتِهِ، وَلَا لِضَمِيرِهِ.

وَعَلَىٰ قَدْرِ مَا تَكْتُبُ فِي الْقِسْمِ الْأَيْمَنِ مِنْ قِيَمٍ وَمُثُلٍ، مِنْ أَخْلَاقٍ وَشِيَمٍ وَصِفَاتٍ، فَأَنْتَ عَلَىٰ قَدْرِ ذَلِكَ مُنْتَسِبٌ إِلَىٰ دِينِ سَيِّدِ الْكَائِنَاتِ ﷺ.

وَأَمَّا إِذَا مَا خَلَتْ وَظَلَّتْ تِلْكَ الْقِسْمَةُ الثُّنَائِيَّةُ فِي قِسْمِهَا الْأَيْمَنِ.. إِذَا ظَلَّتْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ؛ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ! هَذَا دِينُ الْقِيَمِ، وَأَنْتَ مَهْمَا تَمَسَّكْتَ بِتِلْكَ الْقِيَمِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ؛ زِدْتَ فِي مِقْدَارِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمِيزَانِهِ وَزْنًا، وَمَهْمَا تَحَلَّلْتَ، وَمَهْمَا تَفَلَّتَّ مِنْ قَيْدِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مُثُلًا وَقِيمَةً، مَهْمَا تَحَلَّلْتَ.. مَهْمَا تَفَلَّتَّ فَأَنْتَ عَلَىٰ قَدْرِ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَبِمِقْدَارِهِ.

وَالرَّسُولُ ﷺ بَيَّنَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْقِيَمَ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ هِيَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا بُعِثَ الرَّسُولُ ﷺ لِيُتَمِّمَهَا، وَلِيُحَسِّنَهَا.

أَسْأَلُ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- أَنْ يُحَسِّنَ أَخْلَاقَنَا، وَأَنْ يُقَوِّمَ طِبَاعَنَا، وَأَنْ يُبَيِّضَ وُجُوهَنَا، وَأَنْ يَرْحَمَنَا، وَيَجْعَلَنَا فِي عِبَادِهِ الْمَرْحُومِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، عَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَاهْدِ قُلُوبَنَا، وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا، وَاشْرَحْ صُدُورَنَا، وَأَصْلِحْ بَالَنَا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ مِنْ خُطْبَة: «الْإِسْلَامُ دِينُ الْقِيَمِ».

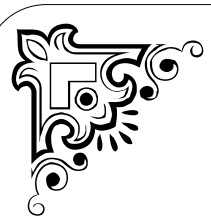

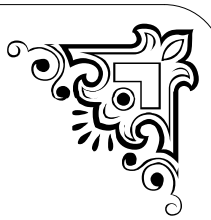

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

دِينُ الْأَخْلَاقِ وَنَبِيُّ الْقِيَمِ وَالْمُثُلِ ﷺ..... ٤

غَرْسُ النَّبِيِّ ﷺ الْقِيَمَ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ..... ١٢

مِنْ مَعَانِي حُسْنِ الْخُلُقِ ١٥

جُمْلَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخُلُقِ..... ٢١

الِانْهِيَارُ الْأَخْلَاقِيُّ وَاقِعٌ مُؤْلِمٌ!!..... ٢٤

كَيْفَ نَسْتَعِيدُ قِيَمَنَا وَأَخْلَاقَنَا الْجَمِيلَةَ؟!!..... ٣٩

كُنْ مُسْلِمًا بِحَقٍّ!..... ٥٢

الْفِهْرِسُ..... ٥٦